دار التوحيد
تحفيظ القرآن الكريم

تأملات في سورة فاطر

برنامج التدبر - الملزمة الحادية عشر

جمع وإعداد:

نجلاء السبيّل

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: إذا اجتمع قومٌ يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين ما يصنعون؟ فتقول الدنيا: دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم[1].

إن الشيطان إذا رأى الناس مجتمعين على الخير والعلم والذكر أصابته الحسرة، فتواسيه الدنيا: لا تحزن ولا تتحسر بمجرد أن يقوموا من مجلسهم سأشغلهم وألهيهم وأقودهم إليك.

والإنسان بطبعه ضعيف، أقل شاغل يشغله وأقل صارف يصرفه، قلبه يفر منه تارة ويعود إليه تارة، وهذه القلوب سريعاً ما تتقلب وتتبعثر، سريعاً ما تلهو وتُصرف وتُشغَل. والعاقل لا يزال يتفقد قلبه ويتعاهده بين الفينة والفينة حتى لا تظل سفينة نفسه شاردة، وها هو يحاول أن يوقفها على مرفأٍ تكون فيه نجاته. ولا يوجد مرفأ أكثر نجاة من مجالس العلم وخاصة مجالس القرآن التي يتدارس فيها كلام الله جل جلاله.

هذه المجالس هي الربح الحقيقي الذي يدخره الإنسان لنفسه، وهي من أقوى الضمادات الإيمانية التي إذا أُديرت على القلب ثبتته وربطته حتى لا يزيغ ولا يروغ.

فالحمد لله الذي هيأ لنا هذه المجالس ونسأل الله أن يبارك لنا فيها وأن يرزقنا برها وخيرها وذخرها ونفحاتها.

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (٢٩٦/١)

اللقاء الأول

اللقاء الأول

بين يدي السورة:

سورة فاطر من السور المكية، والسور المكية كما هو معروف تُعنى بالعقيدة وترسيخها والتأكيد عليها. هذه العقيدة هي التي صنعت جيل الصحابة ونقلتهم من لا شيء، من مجرد عرب إلى جيل فريد متميز لم ولن يأتي مثله أبداً. كان الواحد منهم إذا استمع للقرآن رجع بقلب غير قلبه، كل شيء فيه تغير: قلبه تغير، آلامه تغيرت وآماله تغيرت وتفكيره تغير.

- حرام ابن مِلحان تدخل الحربة في ظهره فتُبقر بطنه ويفور دمه وتتضمخ يداه بالدم وبالرغم من هذه الآلام والدماء والجِراح ماذا يقول؟ فزتُ ورب الكعبة[١]!!
- عُمير بن الحمام يُلقي بتمرات كانت بيده من أجل ماذا؟؟ من أجل أن يدخل سريعاً لساحة المعركة وينال الشهادة فالميزان عنده لو انتظرت حتى آكل هذه التمرات لهي حياة طويلة[٢]!!
- خالد بن الوليد فارس قريش وقائدها والذي فعل الأفاعيل بالمسلمين وأثخن فيهم وكبّدهم من الخسائر ما الله به عليم، لما أسلم وامتلأ بالإيمان سُئِل عن أرجى عمل يَقدُم به على الله؟؟ قال: لا إله إلا الله أتترسُ بها[٣]!!

اختار كلمة التوحيد ، قدَّم لا إله إلا الله على كل شيء!!

هؤلاء هم الصحابة رضوان الله عليهم لما آمنوا بالله واليوم الآخر آمنوا بالجنة والنار والثواب والعقاب وأن لا عيش إلا عيش الآخرة وأن ما عند الله خيرٌ وأبقى تغيرت حياتهم تماماً وأصبحوا طلاّباً للآخرة وليسوا طلاّباً للدنيا.

وليس الأمر محصوراً على القتال والجهاد فقط بل حتى في عباداتهم أثرت فيهم العقيدة، فكانوا لا يستكثرون شيئاً على الله، يبذلون أنفسهم لله في عباداتهم وفي قُرباتهم ونفقاتهم وصدقاتهم.

- أبو طلحة الأنصاري يسمع قول الله تعالى ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾. مباشرة وبدون تردد يقول: يا رسول الله إن أحبّ أموالي إليّ بُيرحاء وإنها صدقةٌ لله أرجو برّها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله[٤].

- تنزل آيات الحجاب ليلاً ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ . فما أن أصبح الصباح إلا ونساء الصحابة قد شققن مروطهن واختمرن وكأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها!! امتثالاً واستجابة لأمر الله[٥].

---

[١] أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن أثير
[٢] صحيح مسلم-كتاب الإمارة- باب ثبوت الجنة للشهيد
[٣] أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/٣٢٠-٣٨٤)
[٤] فتح الباري شرح صحيح البخاري -الأشربة- باب استعذاب الماء.
[٥] فتح الباري شرح صحيح البخاري-كتاب تفسير القرآن- سورة النور.

- تنزل آيات تحثُّ وتُرغّبُ في قيام الليل فيقومون حتى وكأنه أصبح بينهم وبين الفُرش جفاء ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ [السجدة:١٦]. لم تعد راحتهم في النوم بل أصبحت راحة الواحد منهم أن يقوم ويركع ويسجد، يقرأ ويصلي ويتملّق بين يدي ربه.

هذا هو تأثير العقيدة عليهم، ترجموا العقيدة إلى عمل وإلى سلوك وإلى سير يسيرون به إلى الله والدار الآخرة.

وهذا ما نؤمله نحن ونطمع فيه حين نتدارس القرآن ونلتف حول مائدته لنرى ماذا أثرت العقيدة فينا؟ هل صنعتنا كما صنعت الصحابة؟ هل زاد إيماننا؟ هل زاد عملُنا؟ هل أقبلنا وأصبحنا طُلاَّباً للآخرة لا للدنيا؟؟ نسأل الله ذلك...

– أمر آخر ننوه إليه ونحن على مشارف البدء بسورة فاطر أننا لن ندخل للسورة إلا ونحن نستشعر معنىً معيناً تحدثت عنه وهو (الفقر) ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر:١٥]، وهذه حقيقة لا مجال للمزايدة والمساومة عليها، فنحن في فقرٍ شديد، الله وحده يعلم بفقرنا وكم نحن في حاجة وضعف واضطرار.

- أحياناً يشعر الإنسان وكأن الألم يخترقه اختراقاً، وقد لا يشعر به من حوله من البشر ولا يستطيعُ هو أن يبوحَ بألمه أو أن يصفه فالألم الذي تستطيع أن تصفه ليس ألما!!

مثلُ هذه اللحظات نحتاج إلى ركن شديد نأوي إليه، نحتاج إلى افتقار!!

تأمل حال النبي عليه الصلاة والسلام حينما طرده أهل الطائف ورموه بالحجارة وأدموه مشى بأبي هو وأمي مسافة طويلة على قدميه وما شعر بكل هذه المسافة من شدة ما كان يكتنفه من الهم والحزن والألم!! جلس تحت شجرة وقد أخذ الألم منه كل مأخذ فجاءت لحظة الافتقار العظيمة: **اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس.**

بغض النظر عن صحة الحديث وضعفه فنحن الآن نتكلم الآن عن المعاني التي تنطقها هذه الكلمات.

إنها كلماتُ افتقارٍ عظيمة...

(وهواني على الناس) هذه كلمة لا يشعر بها إلا من ذاق ألماً من الناس وأصيب بجرح كبير من الناس!!

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: "**عندما نتألم من كلام الذين نحبهم فإننا نُصاب بالألم مرتين: مرةً من كلامهم والأخرى لأننا عاجزون عن الرد بنفس أسلوبهم**" وصدق فيما قال.

- أيضاً لحظات التفريط والتقصير والغفلة والهوى يوم أن نمتلئ بشهواتنا ونساير أهواءنا هي لحظاتٌ نحتاجُ فيها إلى افتقار حتى يردنا الله إليه رداً جميلاً وينتشلنا من هذه الشهوات التي أحاطت بنا قبل أن تنزلق أقدامنا وكما يقال **في لحظةٍ من التفريط يكون الإنزلاق!!**

وهاهو ابن القيم رحمه الله يؤكد على هذا المعنى فيقول: "إذا وجد الإنسان في نفسه التفاتاً قرأ عليها ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ٢٨** ﴾ [الفجر]. بمعنى إذا بدأت نفسك تروغ وتزوغ وتتفلت منك كرر عليها ارجعي ارجعي إلى ربك حتى لا يطول البعد ويطول الجفاء ويطول الشرود[1].

- أيضاً لحظات البلاء والمصائب والأوجاع والأمراض والأكدار تحتاج إلى افتقار حتى يكشف الله عنا ما نزل بنا ويعجل لنا بالفرج.
- حين نذنب ونعصي ونكرر الذنب ونصرُّ عليه وتلوثنا الذنوب وتُسقطنا فهذه من أشد اللحظات التي نحتاج فيها إلى افتقار حتى يعفو الله عنا ويحلم علينا ولا يعاجلنا بالعقوبة.

والمقصود أننا نريد أن ندخل على سورة فاطر بهذه القلوب المفتقرة لعل الله أن يفتح لنا أبواب الغوْث وأبواب العون وأبواب الفرج ويغنينا غنى لا نحتاج فيه لأحدٍ غيره جل جلاله.

هذا التقديم بين يدي السورة أردتُ به تحريك القلوب وتهيئتها واستثارة ما كان خاملاً، وتحريك ما كان ساكناً، حتى تُزال الحُجب والأقفال، ونُقبِل بإشراق . **ومن أقبلَ أقبل الله عليه**...

---

[1] إغاثة اللهفان (١/٧٠)

من علوم السورة:

- سورة فاطر مكية افتُتِحت بالحمد وهي من الخمس سور المبدوءة بالحمد (الفاتحة- الأنعام- الكهف- فاطر- سبأ).
- لو تأملت السورة لوجدتها مليئة بالحديث عن آثار قدرة الله في الكون وكأن فيها دعوة للتأمل في آيات الله سواء كانت في الآفاق أو في الأنفس.
- والتأمل بحد ذاته عبادة وهو من أكثر ما يزيد الإيمان ويرفعه ويزيد من تعظيم الله في القلب.

يقول الحسن البصري: **"تفكر ساعة خير من قيام ليلة"**[١]. ويقول عمر بن عبد العزيز: **"التأمل في نِعم الله من أفضل العبادة"**[٢].

ولما سُئِلت أم الدرداء رضي الله عنها عن عبادة أبو الدرداء قالت: **(التفكر والاعتبار)**[٣]. والنبي ﷺ كان دائماً ما يلفت انتباه الصحابة للتأمل والتفكر فيسألهم عن السماوات وعن الجبال وعن الرعد وعن الشمس.

- ❖ **هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: "بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماءٍ إلى سماءٍ مسيرةُ خمسمائة سنة وكُثف كل سماء مسيرةُ خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك"**[٣].

- ❖ وقال عليه الصلاة والسلام لأبي ذرٍّ حينَ غَرَبَتِ الشمسُ : **تدري أينَ تَذْهَبُ . قلتُ** : **اللهُ ورسولُه أعلمُ** . **قال : "فإنها تَذْهَبُ حتى تَسْجُدَ تحتَ العرشِ"** [٤].

فمقصود السورة هو دعوة للتأمل في خلق الله في الكون وإثبات قدرة الله ووحدانيته. فمن تأمل بخلق الله استدل على عظمته....... وتفرّده بالخلق والأمر والرزق والملك والتدبير وتصريف الأمور، فلا يهبُ العظمَة إلا عظيم ولا يهبُ القوة إلا قوي، وإذا عَظُمَ اللهُ في قلوبنا زادت العبودية وزاد التوحيد وزاد التسليم والخوف والرجاء والرهبة والرغبة والافتقار والاستعانة والاستغاثة ووصل العبد لمرتبة الإحسان، ففي الكون آيات لا تنتهي، ولا يقدر على هذا الخلق إلا الله العظيم سبحانه وبحمده.

- بدأت السورة بقول الله تعالى ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾. الفرق بين الحمد والمدح أن الحمد هو الثناء على الممدوح محبةً وتعظيماً، أما المدح فقد تثني على إنسان وتمدحه وأنت لا تحبه. لذلك لا يستحق الحمد إلا الله ومن هنا كانت كلمة الحمد لله كلمة ثقيلة لها وزنها كما قال ﷺ: **"والحمد لله تملأ الميزان"**.

---

[١] نضرة النعيم (٣/٨٥٥)

[٢] نضرة النعيم (٣/٨٥٥)

[٣] أخرجه أحمد (١/٢٠٦/٢٠٧)

[٤] صحيح البخاري (٣١٩٩)

فالله سبحانه وتعالى محمود بذاته وصفاته وأفعاله ولا يستحق المحامد كلها إلا هو وجل جلاله.

"فاطر السموات والأرض": خالق ومُنشئ السموات والأرض من غير مثال سابق وهذا من أول آثار قدرة الله في الكون الموجودة في السورة.

ومسألة الخلق من أعظم الدلائل على وحدانية الله وعظمته وقدرته، فالله خلق كل شيء، الصغير والكبير والإنسان والدابة والبهيمة والطير والسموات والأرض وكل خلق يختلف عن الاخرى، وصورته تختلف عن الآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم ذكر خلقاً آخر وهو خلق الملائكة فهم يتفاوتون في خلقهم وصفاتهم ووظائفهم ﴿ **جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾. والتمايز والاختلاف في الخلق أثر من آثار قدرة الله.

مبحث عن الملائكة:

١- الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان. الدليل من القرآن ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ومن السنة حديث جبريل المشهور حين سأل رسول الله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فمن شك في وجود الملائكة أو أنكر وجودهم فقد كفر بالاجماع.

٢- الملائكة هم عباد الله المكرمون وليسوا بناتاً لله ولا شركاء له ولا أولاداً له جل جلاله.

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٦].

٣- الملائكة كِرامٌ خَلقاً وخُلقاً، وهم بررة طهرهم الله وقدسهم الله صفاتاً وذاتاً وأفعالاً.

٤- خلق الله الملائكة من نور، فهم أتقياء أنقياء أصفياء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. عبادتهم دائمة مستمرة لا تنقطع، لا يملّون ولا يفترون من العبادة، فهم عالم الصفاء والنقاء والطُهر.

٥- حديث القرآن والسنة عن الملائكة حديث كثير وعظيم، ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾ [النازعات:١-٥].

﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا**﴾ [الصافات:١-٣].

﴿ **وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا**﴾ [المرسلات:١-٥].

كل هؤلاء ملائكة موكلون بأعمال ومهام ووظائف يؤدونها.

ونذكر حديثين من السنة:

أولاً: وأخرج الترمذي عن النبي ﷺ قال: **"أطّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً"**[١]. الأطيط: الصوت القوي.

أخرج الطبري عن قتادة قال: ذكر لنا رسول الله ﷺ قال: **" البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة، لو خرّ لخرّ عليها، يدخله سبعون ألف ملك كل يوم إذا خرجوا منه لم يعودوا "**والحديث مرسل. قال الألباني : وإسناده مرسلاً صحيح.

تخيل منذ بدء الخلق إلى يومنا هذا كم عدد الملائكة الذين دخلوا البيت المعمور! هذا يدل على كثرة الملائكة فهم كُثر ولا يحصيهم إلا الله.

٦- منهم من جاءت تسميته في القرآن والسنة ومنهم من جاء ذكر عمله الذي وكل به، ونحن نؤمن بالملائكة فما ورد مفصلاً نؤمن به مفصلاً وما ورد اجمالاً نؤمن به اجمالاً.

٧- نؤمن أن الملائكة أجسام لطيفة ولطافتها من ناحيتين:

أولاً: الخفة والقدرة على الحركة السريعة والقدر على التصرف السريع، وهذا يتضح من نزول الملك فكان ينزل على النبي ﷺ من فوق سبع سموات في طرفة عين.

الثانية: من ناحية قدرتهم على التشكل، فكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام على هيئة صحابي اسمه دحية الكلبي، والملائكة كانت تتنزل في بعض الغزوات على هيئة رجال يلبسون ثياباً بيضاً على خيول كأنهم بشر يقاتلون.

٨- نؤمن بأن الملائكة لهم وظائف محددة منهم من هو موكل بالقطر (المطر) مثل ميكائيل عليه السلام فهو يكيل المطر لكل الأرض، يقول تعالى ﴿**وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر:٢١]، ومعه أعوان من الملائكة يأتمرون بأمره ويفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه فهم يصرِّفون السحاب ويُنزلون المطر.

- جاء في الأثر **"ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقرر موضعها من الأرض"**[٢].

---

[١] حسنه الترمذي وصححه الحاكم.

[٢] نقلاً من أحد الدروس العلمية للدكتور عبد الكريم الخضير في شرح حديث جبريل

- قصة الرجل الذي سمع صوتاً في السحابة يقول: اسقِ حديقة فلان. فتبعَ الرجل السحابة حتى وصلت إلى بستان وفرغت ماءها فيه. يقول الرجل: فدخلت إلى البستان فوجدت فيه صاحبه فسألته: ما اسمك؟ قال: فلان، نفس الاسم الذي سمعه في السحاب، فقال لمَ تسألني عن اسمي يا عبد الله؟ فقال: سمعت صوتاً في السحابة يقول "اسقِ حديقة فلان" باسمك، فماذا فعلت؟ فأخبره أنه إذا جاء الحصاد قسّم المحصول ثلاثاً: ثلث يتصدق به وثلث يأكله هو وعياله وثلث يعيده للأرض[١].

الشاهد من القصة أن الملك الموكل بالقطر له أعوان يصرفون السحاب وينزلون المطر.

ومضة: ما دمت منفقاً باذلاً متصدقاً فلن يضيعك الله، سيبذل الله لك أضعاف ما أنفقت، سيسخر الله لك ما لا تعلمه من جنوده ولو أطبقت عليك السموات والأرض سيجعل الله لك منها فرجاً ومخرجاً، فالمعاملة مع الله ربح وما عامل أحد ربه فخاب.

- من الملائكة أيضاً من هو موكلٌ بالنفخ في الصور وهو اسرافيل عليه السلام، ينفخ النفخة الأولى نفخة الصعق (الفزع) كل من سمع هذه الصعقة سيصعق. ثم ينفخ النفخة الثانية وهي نفخة البعث فتعود الأرواح للأجساد ثم يبعث الله الموتى من قبورهم ويبدأ الحساب.
- من الملائكة من هو موكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت.
- ومن الملائكة من هو موكل بالحفظ (الحَفَظَة)، وما من مؤمن إلا وجعل الله حوله من الملائكة ما يحفظونه. يحفظونه من الجن ومن الشرور، من الأذى، ومن الدواب. لكن إذا قدّر الله أمراً خلّو بينه وبين قدر الله حتى ينفذ أمر الله فيه.

- لما علم أبو جهل أن رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة اغتاظ وأرعد وأزبد وأقسم إن رآه يصلي عند الكعبة ليطأن عنقه ويعفّر وجهه في التراب. فأتى النبي عليه الصلاة والسلام وصلى عند الكعبة. فلما دنا منه أبو جهل فما إلا وهو ينكص على عقبيه و بيديه فقيل له مالك؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحة. فلما أُخبِر النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً"**[٢].

- منهم من هو موكل بالجبال. ورد أنه جاء النبي ﷺ بعد قصة الطائف وعرض عليه بأن يطبق عليهم الأخشبين لكن رحمة رسول الله أبت ذلك.
- منهم خزَنة الجنة وفي مقدمتهم رضوان، وخزَنة النار وفي مقدمتهم مالك. منهم هاروت وماروت بعثهم الله فتنة وابتلاء يعلمون الناس السحر.

---

[١] السنن الكبرى للبيهقي (٦٩٣٨)

[٢] صحيح مسلم (٢٧٩٧)

- ومنهم (الكتبة) الذين يكتبون الحسنات والسيئات "﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾ [الزخرف:٨٠] .

* ماذا يجب على المؤمن نحو الملائكة؟

على المؤمن أن يتولى الملائكة بالحب والتبجيل والإكرام وأن يتجنب كل ما من شأنه أن يؤذيهم، وأن يحرص على صحبتهم فهي صحبة مباركة محفوفة بالرحمات والخير تعين الإنسان على نفسه وتدفعه للطاعات، تدعو له وتستغفر له، تؤمِّن على دعائه، كما أن الشيطان يفر من الإنسان إذا أحاطت به الملائكة فلا يتسلط عليه حتى وإن أصاب منه شيئاً فإنما يصيب رتوشاً بسيطة لا تلبث أن تزول. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر:٤٢].

* كيف تُستصحب الملائكة؟

١- كثرة قراءة القرآن.

لا ترضَ بالقليل من القرآن فتقلل حظك من صحبة الملائكة لك.

عن أسيد بن حضير أنَّه قال: يا رسولَ اللهِ بينما أنا أقرأُ اللَّيلةَ سورةَ البقرةِ إذ سمِعتُ وجبةً من خلفي فظننتُ أن فرسي انطلق فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اقرأْ أبا عتيكٍ فالتفتُّ فإذا مثلُ المِصباحِ مُدلًى بينَ السَّماءِ والأرضِ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ :**اقرأْ أبا عتيكٍ فقال يا رسولَ اللهِ فما استطعتُ أن أمضيَ فقال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم تلك الملائكةُ تنزّلتْ لقراءةِ سورةِ البقرةِ أما إنّك لو مضيتَ لرأيتَ العجائبَ**[1] .

٢- حضور مجالس الذكر ومجالس العلم.

قال عليه الصلاة والسلام: " **وماجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهم السكينةُ، وغشيتْهم الرحمةُ وحفّتهم الملائكةُ، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده** "[2].

" **إنّ الملائكةَ تضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضًا بما يصنَعُ** "[3] أي تتنزل وتضع أجنحتها تواضعاً لطالب العلم.

" إنّ لله ملائكةً سيّاحينَ يلتمسون مجالسَ الذّكرِ، فإذا وجدوها تنادوْا هلمّوا إلى حاجتِكم فيحيطون بهم إلى عنانِ السّماءِ، ويسمعون منهم أذكارَهم وأعمالَهم الطيبةَ، ثم إذا عرجوا سألهم اللهُ عما وجدوا، وهو أعلمُ سبحانه وتعالى، فيخبرونَه بما شاهدوا"[1]

---

[1] الترغيب والترهيب (٢/٣١٤)

[2] صحيح مسلم (٢٦٩٩)

[3] صحيح ابن حبان (٥٨٠٨)

٣- أن يكون على طهارة وخاصة أن يبيت طاهراً.

الوضوء قبل النوم عمل يسير ولكن قد يكسل الإنسان فيحرم نفسه من هذا الخير. **"من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلم يستيقظ حتى يقول اللهم اغفر لعبدك فلان فقد بات طاهراً "**[2] .

من بات طاهراً فاز بفضيلتين:

أ/ بات في شعاره ملك-بجانبه ملاصقاً له- وأنعِم وأكرِم بهذا الصاحب وهذا الجليس.

ب/ الاستغفار. فكلما تقلّب استغفر له الملك.

٤- الجلوس لانتظار الصلاة.

" إذا صلّى أحدُكُمْ ثُمّ جلسَ في مُصَلّاه، لمْ تَزَلِ الملائكةُ تُصَلّي عليه :اللهمّ اغفرْ لهُ، اللهمّ ارْحَمْهُ، فإنْ قامَ من مُصَلّاهُ فجلسَ في المسجدِ ينْتَظِرُ الصّلاةَ ؛ لمْ يَزَلْ في صَلاةٍ حتى يصلّيَ "[3].

٥- من دُعي له بظهر الغيب.

من دعا لأخيه بظهر الغيب وُكِل له ملك يؤمن على دعائه.

- يقول القاضي عياض: **كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه بتلك الدعوة حتى يُستجاب له ويحصل له مثلها**[4] .

٦- أكلة السَحَر.

قال ﷺ: " **إنّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّونَ على المتسحّرِينَ**"[5]. ونبّه عليه الصلاة والسلام أصحابه أن السحور بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء.

٧- صلاة الملائكة على الصائم إذا أكِل عنده.

أتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى أم عمارة بنت كعب دخَل فدَعَت له بطعامٍ فقال: (تعالَيْ فكُلي) فقالت إنِّي صائمةٌ فقال: " **إنّ الصّائمَ إذا أُكِل عندَه صلّتْ عليه الملائكةُ**"[1] .

---

[1] سنن الترمذي- تحفة الأحوذي- كتاب الدعوات

[2] سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥٣٩)

[3] صحيح الترغيب (٤٤٢)

[4] شرح النووي (صـ٣٩٠)

[5] الترغيب والترهيب (١/١٤٩)

٨- صلاة الملائكة على عائد المريض.

قال ﷺ: **" ما مِنْ مُسْلِمٍ عَادَ أَخَاهُ إلا ابْتُعِثَ لهُ سبعونَ ألفَ ملكٍ يُصَلّون عَلَيْهِ مِنْ أَيِّ سَاعَاتِ النَّهَارِ كانَ حتّى يُمْسِيَ وَمَنْ أَيِّ سَاعَاتِ الليلِ كانَ حتى يصبِحَ "**[٢]. وهذا من الرزق الشديد.

والملائكة من أطهر الخلق الذين تُستجاب دعواتهم رغم أن الفعل يسير إلا أن من يستحضره قليل.

قال عليه الصلاة والسلام: **" من عاد مريضًا لم يزَلْ يخوضُ في الرحمةِ حتى يرجعَ فإذا جلس اغتمسَ فيها"**[٣] وتلك بشارةٌ أخرى.

٩- صلاة الملائكة على معلم الناس الخير.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. رغم ما يلاقيه المعلم من مشقة التعليم والأذى من الناس، فالتعامل مع الناس ليس سهلاً لاختلاف طباعهم وصفاتهم إلا أن الذي يصبر موعود بهذا الأجر العظيم.

قال ﷺ: **"إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلّون على معلم الناس الخير"**[٤].

١٠- صلاة الملائكة على أهل الصفوف الأولى والميامن ومن يجلسون في اليمين.

قال رسول الله ﷺ: **"إنّ اللهَ وملائكتَه يُصلّون على مَيامِنِ الصُّفوفِ"**[٥].

* ما الذي يؤذي الملائكة؟

أ/ يؤذي الملائكة ما يؤذي البشر، أكل الثوم والبصل وكل الروائح الكريهة.

ب/ لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة.

واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في ساعةٍ يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته وفي يده عصا فألقاها من يده وقال (ما يُخلف الله وعده ولا رسله). ثم التفت فإذا جرو كلبٍ تحت سريره فقال: يا عائشة متى دخل هذا الكلب هنا،؟ فقالت والله ما دريتُ. فأمر به فأُخرِجِ.

---

[١] ابن حبان (٣٦٤٠)

[٢] مسند أحمد (٢/١١٠)

[٣] السلسلة الصحيحة (٤/٥٦٢)

[٤] سنن الترمذي (٢٦٨٥)

[٥] سنن أبي داود (٦٧٦)

فلما جاء جبريل سأله رسول الله "واعدتني فجلستُ لك فلم تأتِ" فقال: "**منعني الكلبُ الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة**"[١].

قال ﷺ: " **مَن أمسَك كلبًا يَنقُصُ من عملِه كلّ يومٍ قِيراطٌ، إلا كلبَ حرثٍ أو كلبَ ماشيةٍ** "[٢].

المقصود بهذه الملائكة هي التي تتنزل بالرحمات والبركات، فلا تدخل بيتاً فيه صورة (الصور المحرمة كالأرواح سواء لبشر أو كائنات حية أو التماثيل والمجسمات).

الخلاصة:

صحبة الملائكة صحبة مباركة، صحبة من الملأ الأعلى، تعين الإنسان على نفسه، فيزداد في مراقبة نفسه وتزدادُ مروءته وحياؤه، ومن ثم هي صحبة تحلّق بروحه وتعلو بهمته.

وكلما كان الإنسان في طاعة وعمل صالح قَرُبَ من الله، ومن قرُب من الله حفته الملائكة وأحاطته من كل الاتجاهات.

قال الحسن البصري: للمصلي ثلاثُ خصال: يتناثر البرُ من عنان السماء إلى مفرق رأسِهِ، وتحفُّ به الملائكة من لدنْ قدميه إلى عنان السماء ويناديه منادٍ لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل[٣].

---

[١] صحيح مسلم (٢١٠٤)
[٢] صحيح البخاري (٣٣٢٤)
[٣] الجامع الصغير (٧٣٤٩)

اللقاء الثاني

اللقاء الثاني

قال تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾.

هذه آية تسكب السكينة في قلب قارئها.

يقول عنها صاحب الظِلال[1]: لقد واجهتني هذه الآية وأنا في عسر وضيق وجهد ومشقة في لحظة جفاء روحي وشقاء نفسي فكانت رحمة بذاتها. فقد قرأتُها من قبل كثيراً ومررت بها من قبل كثيراً ولكنها اللحظة تسكبُ رحيقها وتحققُ معناها، أجدُ الفرج والفرح والرِّي والاسترواح والانطلاق من كل قيد ومن كل كرب ومن كل ضيقٍ إنها رحمة الله يفتح بابها ويسكب فيضها في آية من آيات الله وأنا في مكاني.

تأمل ﴿ **مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ** ﴾، جاءت كلمة رحمة هنا في سياق الشرط، فهي تشمل كل رحمة وأيُّ رحمة لو قدرها الله فلا يستطيع مخلوق أن يمسكها أو يحجبها أو يمنعها.

رحماتُ الله لا تُحصى: فالهداية رحمة، والتوبة رحمة، والستر رحمة، والأخلاق رحمة، الزوج الصالح والذرية الصالحة رحمة، والتوفيق رحمة، والحكمة رحمة، والفرج رحمة. إذا أذِن الله بفتح هذه الرحمة على مخلوق ستصله ولو كان في أعماق البحر كما وصلت ليونس عليه السلام وهو في بطن الحوت، وكما وصلت ليوسف عليه السلام وهو في ظلمات السجن.

ستصلْ ولو كان الإنسان مطوّقاً من كل جهة كما وصلت لآسيا زوجة فرعون وهي عند أكبر طاغية على وجه الأرض إلا أن رحمة الله وصلتها! فما استطاع فرعون أن يمسك هذه الرحمة أو يمنعها عنها. الله وحده هو الذي يملك الرحمة وليس البشر.

ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله. أنت إذا رأيت الناس من حولك يعيشون في تخبط وضياع وعقائد منحرفة وأفكار ضالة وشهوات مرهقة وفتن خطّافة تموج بهم كموج البحر ثم تجد أن ربك هداك وقدّر لك الهداية ولم يجعلك مع الضالين فهذا من رحمة الله بك ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص:٥٦].

- تأمل (اللعان) الذي ورد في سورة النور حين يقذف الزوج زوجته بالزنا وليس لديه شهود إلا هو ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [النور:٦-٧].

---

[1] سيد قطب رحمه الله

المتدبر والمتأمل في هذا الموقف يرى أمامه زوج وزجه، اتهام بالزنا، قذف، أيمان، شهادات، نفوس امتلأت، عوائل اصطدمت، أجواء مشحونة، ثم ماذا؟!! هو أقسم وهي أقسمت، سقط عنه حد القذف، وسقط عنها حد الزنا، انتهى الموقف، حصلت الفُرقة بينهما للأبد، كلاهما خرج من الموقف وتخلص من إقامة الحد عليه والله يعلم أن أحدهما كاذب، ولكنه سبحانه وبحمده لم يعاجلهم بالعقوبة ولم يخسف بهم ولم يفضحهم وإنما سترهم وأمهلهم وجللهم بستره، وليس فقط الستر وإنما دعاهم للتوبة.

وخُتِمت آيات اللعان بقوله ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ**﴾ [النور:١٠].

فالستر رحمة وأيُّ رحمة..!!

التوبة رحمة.. فالله هو التواب الذي يتوب على كل من رجع إليه، وكل من اناب إليه، فالله لا يخذل نادماً ولا يردُّ راجعاً تائباً وهذا من أعظم تجليات الرحمة التي يفتحها الله لعباده ولا يمسكها عنهم.

وأكثر من يشعر بهذه الرحمة هم التائبون حين يتذكرون ماضيهم وخلواتهم ومعاصيهم وهفواتهم وزلاتهم والسواد الذي لطخوا به صحائفهم... هم فقط من يعرف ويتذوق حجم هذه الرحمة التي فُتِحت لهم.

- **المصائب أيضاً رحمة**. وسأختار من هذه المصائب الطلاق، فالطلاق بقدر ما هو مؤلم وبقدر ما فيه من أحزان وبكاء وهدم بيت وتفرُّق أسرة إلا أنه أحياناً قد يكونُ بابُ رحمة فُتِح.

وقد قيل (لو كُشِف لك من اللوح المحفوظ لم تَخْتر من القدر إلا ما قُدِّر لك)، فالله يعلم أنه لن ينصلح حالك إلا بهذا الطلاق، قد يكون الطلاق سبباً في صلاحك وصلاح أولادك، قد يكون سبباً في أن تُفتح لك أبواب من العلم والدعوة والخير كانت مغلقة عليك، قد يكون الطلاق سبباً في إغلاق أبواب من السيئات كانت مفتوحةً عليك.

وتذكر أن الله إذا سدّ على العبد بحكمته طريقاً فتح له برحمته طريقاً هو أنفع له. ومما يخفف على الإنسان آلامه ويستطيع أن يتذوق به رحمة الله فيما نزل عليه من الأقدار أن يحسن الظن بربه ويتيقن أن الله ما أرادَ به إلا خيراً وأن هذا الصرف رحمة من الله به وقد صرف عنه من البلاء والشر والفتنة مالا يعلمه إلا الله، فهو وحده الذي يعلم عواقب الأمور وهو العليم الحكيم.

حتى وإن دعا وتأخر الفرج وتأخرت الإجابة فليكن على يقين أن الله أخَّر عنه حتى يأتي الوقت الذي يكون فيه هذا الأمر خيرٌ له في دينه ودنياه وآخرته فيعطيه إياه وييسره له.

فلا تستعجل فلو أعطاك مطلوبك في الوقت الذي طلبته قد يكون سبباً في فتنتك.

إذا كان الله تعالى يقول في الحديث القدسي: **" وما تَرَدّدْتُ عن شيءٍ أنا فَاعِلُهُ ما تَرَدّدْتُ في قَبْضِ عبدِي المؤمنِ، يكرَهُ الموتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ، ولا بُدّ لهُ مِنْهُ."**[1].

الله من فوق سبع سموات يكره مساءتك؟ يكره أن يسوء عبده المؤمن؟ فعلى ماذا نسيء الظن بربنا وينظر الله لقلوبنا فيجدنا نتقلّب في النقص، وكأن رحمة الله انتهت، وأبواب الله أُغلِقت، وخزائنه نفدت، بل التوحيد والكمال والإيمان أن ينظر الله لقلوبنا فلا يجد فيها إلا الرضا عنه جل جلاله، وكلمات الرضا تتردد على ألسنتنا، فنشتري مرضاة ربنا بقلوبنا وألسنتنا فلا نخرج من هذا البلاء إلا ونحن مرحومين برحمة واسعة قد مُحيت الذنوب ورُفِعت الدرجات وزال البلاء...

---

[1] صحيح البخاري

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾.

في هذه الآية تذكير بنعم الله خاصة نعمة الخلق ونعمة الرزق، وهي من أعظم نعم الربوبية، ثم جاء التذكير بأعظم صارفين يصرفان الإنسان عن الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾.

الصارف الأول: الدنيا.

وفتنتها خطيرة، وقد حذّر منها النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه وخاف عليهم منها وكان يقول: " **فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسِطت على من كان قبلكم فتنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**"[1].

فالدنيا خدّاعة كلما تعلّقت بها سحبتك، وكلما فتحتها على نفسك فتنتك أكثر وأكثر. شبهها الشيخ الشنقيطي رحمة الله عليه فقال: الدنيا كالبحر كلما شربتَ منه ازددتَ عطشاً. ولما عرف السلف حقيقة الدنيا وخداعها وزيفها وبريقها ما فتئوا يهربون منها.

- هذا سفيان الثوري إمام أهل الكوفة وعالمها، دعاهُ الخليفة ليقربهُ ويحظى بمنزلة عنده، لما عرف مُراد الخليفة غادر الكوفة وذهب للبصرة، عمل حارساً في بستان، فقيل له إن الخليفة لم يُرد سجنك ولا تعذيبك وإنما يريد أن يُقرّبك فلماذا خرجت؟ فقال سفيان: أتحسبني أخشى عذابه؟ إنما أخشى إكرامه[2].

لقد علموا حقيقة الدنيا الدنيا فخافوها ولم يحرصوا عليها.

والله عز وجل إذا أراد بعبده خيراً نزع حُبُ الدنيا من قلبه. ورد عند الترمذي قوله ﷺ: **"إنّ اللّهَ عزّ وجلّ يحمي عبدَهُ المؤمِنَ من الدّنيا كما يحمي أحدُكُم مريضَهُ الطّعامَ والشّرابَ** "[3]. فلا تتشوّف ولا تحرص ولا تهرول ولا تسرع بل خفف وطأتك حتى لا تفتنك.

الصارف الثاني: الشيطان.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾.

إنها عداوةٌ حقيقيةٌ مستمرةٌ إلى يوم القيامة والله يأمرنا أن نتخذه عدواً. وابن القيم رحمه الله يبين كيف يكون هذا فقال: **استفرغ الوسع في محاربته ومجاهدته لأن تربصهُ ووساوسهُ وخواطره وتزيينه بقدر الأنفاس، فجدّ واجتهد وكن على حذرٍ دائمٍ من هذا العدو.** وهذا لا يمكن إلا إذا عرفنا صفاته.

---

[1] صحيح البخاري (٣١٥٨)

[2] حلية الأولياء-بتصرف

[3] الأجوبة المرضية (٧٤٢/٢)

صفات العدو:

١- **مخلوقٌ من نار** ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ**﴾ [الحجر:٢٧]، ﴿**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**﴾ [الرحمن:١٥].

فأصل خلقته من لهيب النار شديدة الحرارة المختلطة بالدخان الكثيف. **ومن صفات النار:** الإحراق، والإفساد، السرعة، الخفة، والطيش، تحرق كل شيء فتأكل الأخضر واليابس.

ومن صفات الدخان: الكثافة، الحجب، التطاير. إذاً نحن أمام عدوٍ خفيٍ مستترٍ مفسد، يحجب عن المؤمن كل خير وكل صلاح وكل رشد.

ومن هنا تتضح خطورته فهو عدوٌ مستتر لا تعلم متى سيُهاجمك ومن أي ثغر سيأتيك؟ قد يأتيك من ناحية قلبك أو من ناحية لسانك أو بطنك أو سمعك أو بصرك، هو مترصدٌ متربصٌ جاهز للهجوم عليك من أي ثغر متى ما وجَدَ منك غفلةً أو التفاتاً.

٢- **هل له جنودٌ وأتباعٌ وذرية؟**

نعم له ذرية وأتباع يبعثهم يفتنون ويضلّون ويزينون ويوسوسون وينزعون بين الناس كما ورد في الحديث " **إنّ عرشَ إبليسَ على البحرِ فيبعثُ سراياهُ فيفتِنونَ النّاسَ فأعظمُهم عندَه أعظمُهم فتنةً**"[1].

٣- **له أسلحة وخطوات وفخاخ وحبائل**، ومن أعظم أسلحته التحريش. قال ﷺ: " **إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم** "[2].

وقد توعد آدم وذريته وقال ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً**﴾ [الإسراء:٦٢]، **والإحتناك هو الاستئصال الجذري والقضاء عليهم لأنه امتلأ حقداً وحسداً وغيظاً على آدم وذريته.**

٤- **مترصد متربص.** قال ﷺ: "**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه**"[3]، "**إنّ الشيطانَ يحضر أحدَكم عند كلِ شيءِ من شأنه** "[4].

فهو حريص أن يشاركك في كل شيء، في طعامك وشرابك ونومك وجماعك ولباسك ودخولك وخروجك.

---

[1] صحيح مسلم (٢٨١٣)
[2] صحيح مسلم (٢٨١٢)
[3] صحيح النسائي (٣١٣٤)
[4] صحيح مسلم (٢٠٣٣)

ورد في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **التقى شيطان المؤمن بشيطان الكافر فكان شيطان الكافر سميناً دهِناً منتعلاً، وشيطان المؤمن ضعيفاً هزيلاً عارياً أشعثاً أغبراً، فسأله ما هذا؟ فقال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأجوع وإذا شرب سمى الله فأعطش وإذا لبس سمى الله فأعرى وإذا انتعل سمى الله فأكون حافياً، وإذا مشط ذكر الله فأكون أشعث أغبر. قال الآخر: أما أنا مع رجل لا يذكر الله أبداً فتراني سميناً دهِناً منتعلاً.**

٥- **إذا نام الإنسان فإنه يعقد عُقَده ويبيت على خياشيمه.** قال ﷺ: " **إذا استيقظ أحدُكم من منامِه فليستنثرْ ثلاثَ مراتٍ فإن الشيطانَ يبيتُ على خياشيمِه** "[1].

ثم يعقد بثلاث عقد على قافية أحدكم. قال عليه الصلاة والسلام: " **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** "[2].

٦- من أخطر الثغور التي يدخل بها الشيطان على ابن آدم هو **ثغر الوسوسة**، والوسوسة حديثٌ خفي يبثه الشيطان في قلب العبد.

وحال الناس مع الوساوس والخواطر كما قال ابن القيم كحال الغزال مع الكلب.

فالغزال أسرع من الكلب ولكن الكلب حين يجري خلف الغزال، فإن الغزال من شدة الخوف يلتفت، فإذا التفت حارت قواه، فانثنى عزمه وضَعُف جريُه فيتمكن منه الكلب وهكذا يصيده.

لا تلتفت لهذه الوساوس ولا تسترسل معها حتى لا يستأسد عليك الشيطان ويتسلط ويتمكن منك فيُمرضك ويُقعدك ويتقوى عليك.

لهذا وردت الاستعاذة من وسوسته ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦** ﴾ [الناس].

اللهم إنا نعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر

٧- **الشيطان له صوت** ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ**﴾ [الإسراء:٦٤].

قال أغلب المفسرين أن صوت الشيطان هو الغناء والعزف والمزامير، والقلوب المبتلاه بحب الغناء قلوبٌ عليلة سقيمة موحشة. فالقرآن والغناء لا يجتمعان في قلب واحد، فإذا تمكن الغناء من القلب طرد القرآن وإذا تمكن القرآن من القلب طرد الغناء، فالأقوى هو من سيطرد الآخر.

---

[1] صحيح الجامع (٣٣٠)

[2] صحيح البخاري (٣٢٦٩)

٨- **للشيطان خيلٌ و مركوب** ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤].

كل مركوب يركبه الإنسان يوصله إلى معصية الله فهو من خيل الشيطان سواء كانت سيارة أو طائرة أو دابة أو غيرها. أما رُجْله فهو كل ماشي إلى معصية بقدميه.

٩- ومن صفاته أيضاً أنه **مَلحاحٌ لا ييأس أبداً**، إذا لم يُفلح معك من طريق أتاك من طريق آخر، يحاول أن يوقعك في الشرك، فإذا لم يستطع أتى من باب البدعة التي تقدح في توحيدك وصاحبها قلما يوفق للتوبة لاعتقاده أنه على صواب وهي أخطر من الكبائر.

فإذا لم يفلح أتاك من باب الكبائر التي تسلب الإيمان وتنقصه بدرجة كبيرة، ثم يأتيك من باب الصغائر وهي ساحة الشيطان الرحبة التي لا يكاد يسلم منها أحد.

فإذا لم يفلح وكنت كثير التوبة والاستغفار أتاك من باب المباحات والإغراق فيها ليعرقل سيرك ويؤخرك.

فإذا لم يفلح قد يشغلك بالمفضول عن الفاضل. فيشغل المرء بالأقل أجراً عن الأكثر أجراً ليفوت عليه الكمال.

لذلك شُرِعت الاستعاذة من هذا العدو فلا يصرفه عنا ولا يحمينا منه ولا يحفظنا من شروره وأذاه إلا الإله الملك العظيم، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وعلى قدر صدقك في طلب الاستعاذة فإن الله يعيذك. وعليك بالمعوذتين ففيهما حرز وحفظ وكفاية وحماية وتحصين من شر هذا العدو.

عن عقبة بن عامر قال: "بينما أنا أسيرُ مع رسولِ اللهِ بين (الجُحْفَة) و (الأبواءِ) ، إذا غشِيَتْنا ريحٌ وظُلمةٌ شديدةٌ ، فجعل رسولُ اللهِ يتعوّذُ ب أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ و أُعُوذُ بِرَبِّ النّاسِ ويقولُ: يا عُقبةُ ! تعوّذْ بهما ، فما تعوّذ مُتعوِّذٌ بمثلِهما" . قال : **"وسمعتُه يَؤُمُّنا بهما في الصلاةِ"** [1].

وقال أيضاً: **"من قالها حين يصبح وحين يمسي كفته كل شيء"**[2].

وقال ﷺ: **" يا عقبةُ ؟ ألا أُعلّمُك خيرَ سورتَين قُرئَتا ؟ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّاسِ، يا عقبةُ! اقرأْ بهما كلما نمتَ و قُمتَ، ما سأل سائلٌ، ولا استعاذ مُستعيذٌ بمثلِهما"**[3].

قال ابن القيم رحمه الله: إن حاجة العبد إلى الإستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النَفَس والطعام والشراب واللباس[4].

---

[1] صحيح الترغيب (١٤٨٥)

[2] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

[3] صحيح أبي داود (١٤٦٣)

[4] تفسير ابن القيم- تفسير سورة الناس

اللقاء الثالث

اللقاء الثالث

في هذا اللقاء سنتحدث عن فتنة عظيمة كبيرة لا يثبت أمامها إلا من ثبته الله، وتزيد خطورة هذه الفتنة في هذه الأيام وهذا الزمن أن الضلال كثير والساقطون فيه كُثر!!

يقول الله عز وجل: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [فاطر:٨].

إنها فتنة التزيين. الشيء المزيَّن هو الذي يجعلك حين تنظر إليه تشعر بلذة .... فلا تريد أن تحول بصرك عنه لجمال مظهره. هذا هو المزيَّن عموماً لكن ما سنتكلم عنه اليوم هو تزيين الباطل والضلال بمعنى أن يُزيَّن الباطل ويُزخرَف ويُجمَّل ثم يُقدَّم بصورة غير صورته الحقيقية وبقالب غير قالبه الحقيقي ويُقدَّم في صورة الحق.

* ما الأسباب التي تجعل الإنسان يقع في فتنة التزيين؟

هناك ثلاث أسباب رئيسية:

السبب الأول: عمى القلب.

فالقلوب كالأبدان. فكما أن الأبدان لها صفات حقيقية تليق بها فالقلوب لها صفات حقيقية تليق بها فهي تحيا ولكن ليس كحياة البدن، وتموت ولكن ليس كموت البدن.

لها إدراكٌ وإحساسٌ حقيقي. لها حركة، حتى يُقال أن القلب إذا تحرك بالحزن نزل الدمعُ حاراً وإذا تحرك بالفرح نزل الدمعُ بارداً، بل حتى طعم الدمع يختلف باختلاف حركة القلب!!

هذا القلب له وظائف ومهام، ومن هذه الوظائف الإدراك، والعقل، والفهم، والاستجابة، والتأمل، الخوف، والمحبة، والرجاء، والتوكل، الاستقامةُ والتفويض والخشوع، والإخبات، والصبر، والمراقبة، وغيرها من الأعمال. فإذا كان القلب سليماً أدى هذه المهام على أكمل وجه وإذا كان القلب سقيماً عليلاً فلا بد أن تظهر عليه آثار المرض والسقم.

*** هل يصيبه العمى أو الصمم؟**

الجواب: نعم. قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة أمراض القلوب والشفاء منها في المجلد العاشر من فتاويه. حيث قال: [كما إن الإنسان إذا صار لا يسمع بأذنه ولا يبصر بعينه ولا ينطق بلسانه كان ذلك مرضًا مؤلمًا له، يفوته من المصالح ويحصل له من المضار، فكذلك إذا لم يسمع ولم يبصر ولم يعلم بقلبه الحق من الباطل ولم يميز الخير من الشر كان مثل الأعمى].

فقرر أن القلب يصيبه العمى، الصمم، البكم. أحياناً يعمى القلب عمىً كلياً كما يذهب بصر العين بالكلية ولكن شتان شتان بين بصر القلب وبصر العين!!

كثير من العلماء فقدوا أبصارهم من الصغر ولم يؤثر هذا عليهم بل أطلق الله لهم بصيرتهم فأصبحوا من كبار أهل العلم الراسخين فيه، أما من فقد بصر قلبه وانطفأت بصيرته فإنه يتضر ضرراً بالغاً ويقع فيما لا يُحمد عُقباه.

وما هي البصيرة؟؟

البصيرة: هي نورٌ في القلب يقذفه الله في قلوب المؤمنين الخُلّص. هي الفرقان الذي يستبصر به المؤمن الطريق، ويرى به الرؤية الصحيحة.

هي كشافُ ضوءٍ منير في وسطِ ظلمةٍ حالكة تكشف الأشياء على حقيقتها فيراها المؤمن كما هي ولا يراها كم زُيِّنت له من نفسه وهواه أو من الشيطان أو ممن حوله من أصحاب الأنفس الضعيفة.

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الأنفال:٢٩]، ويقول عز وجل: ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٢]

هذه البصيرة لها لمعانٌ وبريقٌ كبريق العين حينما تفرح، فعندما تجتمع الفطرة السليمة مع صلاح الباطن وطهارة الفؤاد وصفاء السريرة ثم يشرق عليها نور القرآن وهو الزيت الذي يوقد القلب وهو مادة الإضاءة، فتجتمع هذه الأنوار في القلب، عندها سيصبح قلباً مبصراً غاية الإبصار.

قال تعالى ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحجر:٧٥]، قال مجاهد: يعني للمتفرسين.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قول النبي ﷺ: **اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله.** والتوسُّم: التفرُّس.

ولذا خص الله بالآيات والإنتفاع بها هؤلاء، وبعث الله الرسل مذكرين ومنبهين ومكملين لما عند الناس من استعداد لقبول الحق بنور الوحي والإيمان فيُضاف إلى ذلك نور الفراسة فيصير نور على نور فتقوى البصيرة[1].

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسل يطلبها في دعائه **اللهم أرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.**

---

[1] مدارج السالكين (١١٠/١)

لكن ماذا لو انطفأ نور هذه البصيرة؟ لا شك ولا ريب أن المرء سيضِلّ ويزلّ ويصيبهُ العمى، والعمى نوعان: إما أن يذهب البصر تماماً فيكون عماً كلياً، وإما أن يكون عماً جزئياً فيصيبه ما يُعرف بعمى الألوان فيرى الاحمر أخضراً والأزرق أصفراً فتختل عنده الرؤية، لا يدرك الأشياء على حقيقتها فيفسد فهمه وتصوره.

والله عز وجل يخبرنا عن صنف من البشر جاءهم القرآن، والقرآن هو أقوى الأنوار مطلقاً ومع ذلك كان القرآن عليهم عمىً ﴿ **وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**﴾ [فصلت:٤٤].

فكلما سمعوا شيئاً من القرآن زادهم عمىً في قلوبهم وثِقلاً في آذانهم ورجساً إلى رجسهم والعياذ بالله، فتنقلبُ أفهامهم، ويرون الخطأ صواباً والضلال هدىً وسوء العمل حُسناً!!

- تأمل حال فرعون الذي أفسد في الأرض ما أفسد وقال الله عنه : ﴿**وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ**﴾ [غافر:٣٧] رغم ما كان عليه من سوء أعمال وسوء أقوال إلا أنه رأى نفسه مصلحاً وناصحاً مريداً للخير والرشاد، ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ [غافر:٢٩].

- تأمل أصحاب الفتن والبدع والعقائد المنحرفة والأفكار الضالة الذين يظنون أن ما يقومون به من طقوس وشعائر وتوسلات شركية ما أنزل الله بها من سلطان ومع ذلك هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً!!!

- تأمل الذين سموا انفسهم بالمفكرين والعقلانيين والتنويرين الذين قدموا عقولهم على الحق والشرع وعلى الأدلة وشككوا الناس في عقيدتهم ودينهم وتوحيدهم وحجتهم أن العقل يجب أن يقبل أو يرفض هذه النصوص، ومع ذلك هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً!!!

- يقول الله عز وجل في سورة الكهف: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤**﴾ [الكهف].

أخسر الناس أعمالاً هم الذين اتعبوا انفسهم في أعمال كانوا يبتغون من ورائها فضلاً وربحاً وأجراً وثواباً، فخاب رجاؤهم وخسرت بيعتهم ولم يدركوا طلبهم ولم ينالهم إلا العطب والخسران فلا قيمة ولا وزن لهم.

السبب الثاني الموقع في فتنة التزيين: الشيطان.

وتزيين الشيطان خطير لا يخفى على أحد. فزين للمشركين عبادة الأصنام والأوثان، وزين لهم قتل أولادهم رغم أن قتل الإنسان لإبنه ينافي الفطرة، وكذلك زيّن لسيدنا آدم عليه السلام الأكل من الشجرة رغم تحذير الله عز وجل له، وزيّن لبلقيس وقومها رغم أنهم عقلاء أن يعبدوا الشمس!!

زيَّن لقريش الخروج ومقاتلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته في بدر ﴿ **وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤٨**﴾ [الأنفال].

- زيَّن لأوليائه من شياطين الإنس فغيروا أسماء الأشياء حتى يتقبلها الناس: فأصبحوا يطلقون على الربا (فوائد) والرشوة (أتعاب) والتعري (موضة وصيحة) والإختلاط ومقدمات الزنا (صداقة وعلاقات عمل). ومهما تغيرت المسميات فالعبرة بحقائق الأشياء لا بمسمياتها. ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾ [الأنعام:١١٢].

- زيَّن المعاصي والهوى والشهوات، وهذا النوع من التزيين لا يحصل إلا إذا تفلتتْ التقوى من القلب. والتقوى أحياناً تكون غائبة وأحياناً تكون مريضة وفي حين آخر تموت التقوى في قلب صاحبها!! وكم وكم من أناس صالحين ونحسبهم على خير وصلاح وعلم، زلّت أقدامهم وتعثروا حين غابت التقوى، فجاء الشيطان وزيَّن وشهَّى وحسَّن هذه الشهوات لهم فتكاثرت وتوالت وتتابعت على قلوبهم حتى أسقطتهم ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران:١٤].

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن لهذه الشهوات حبٌ ولذةٌ وتمكُّنٌ في القلب وإذا ما استقرت فيه أرهقته وأتعبته وأثقلته.

- حذر الله عز وجل من الهوى. والهوى ما سُمي بالهوى إلا لأنه يهوي بصاحبه، فهو يحمل معنيين:

١- **الخلو والفراغ:** من قوله تعالى ﴿**وَأَفْئِدَتهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم:٤٣] يعني خالية فارغة، وصاحب الهوى فارغ من كل خير ومن كل فضيلة ومروءة.

٢- **السقوط:** وكل صاحب هوى قد سقط من علوٍّ إلى سفول.

والهوى جارفٌ كالسيل، يصيّرُ الإنسان مخموراً بهواه يشرّق به ويغرّب، لذلك حذّر الله من الهوى ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص:٢٦].

وما عالمُ بنو اسرائيل الذي انسلخ من آيات الله بعد أن آتاه الله إياها فأخلد إلى الأرض واتبع هواه ومثّله الله بالكلب إلا مثالاً واضحاً كيف يكيد الهوى بصاحبه ويهينه ويسقطه ومن سقط فلن يرفعه أحد ومن يُهِن الله فما له من مُكرِمٍ ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى**

الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

السبب الثالث الموقع في فتنة التزيين: الصحبة.

يقول الله تعالى: ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ [فصلت:٢٥].

ويدخل في هذا كل صاحب يؤثر على صاحبه وجليسه ويزيّن له السوء.

كم من إنسان كريم الطبع سليم الطوية ابتُلي برفقة سوء ووقع بين فكيهم وقلدهم فانحدر وسقط معهم وما خرج من عندهم إلا منتكساً ضالاً قد زاغ قلبه والمرء على دين خليله، والله تعالى يقول ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف:٦٧].

كيف يكون الخلاص من فتنة التزيين؟

- **أولاً: يجتهد الإنسان في حراسة نفسه** حتى ينتهي من هذه الدنيا، فكلنا على سفر ولا بد للسفر أن ينتهي ولا بد للمسافر أن يصل، ولا يغتر بستر الله له فإن الإنسان إذا كان سريع الاستجابة للفتن والأهواء والشهوات والتزيين فهو لا يأمن أن يحول الله بينه وبين قلبه وأن يشرد منه قلبه وأن ينفسخ عزمه فلا يستطيع أن يسترد عافية قلبه.

ولربما إذا استجاب المرء لهذا التزيين واسترسل معه يعاقبه الله فيصرفه عن الهداية وينتكس رأساً على عقب.

فلا تتكل على صلاحك وإن كنت صالحاً ولا على استقامتك إن كنت مستقيماً فأنت لا تأمن أن يسلب الله منك النعمة والعطاء والهداية فكُن على حذر.

- **ثانياً: الإكثار من الحوقلة** وهي قول: **"لا حول ولا قوة إلا بالله"** فهي كلمة استعانة كبيرة تفر بها إلى الله حتى يؤمّنك من هذه الفتنة.
- **ثالثاً: الإكثار من الدعاء بالثبات "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"** والموفَّق من وفقه الله للدعاء. وأعجز الناس من عجز عن الدعاء.
- **رابعاً: العلم** وهو من أكثر ما ينجيك من فتنة التزيين، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. فبالعلم يستطيع الإنسان أن يدفع عن قلبه السفه والعمى والفهم السقيم وأن يُبصر الطريق ويميز الحق من الباطل والحسن من القبيح، والعلم إذا كان لا يصنع الإنسان ولا يربيه ولا يدفع عنه الشُبه والكدر فلا فائدة منه.
- **خامساً: أن يبحث الإنسان عن أهل البصيرة**، وهم قليل.

- ستجدهم أناس قد صفت وتطهرت قلوبهم وجوارحهم من الفسوق والفواحش والحرام.
- ستجدهم أهل ارتقاء وعلوّ وكمال وورع، إذا عاشرتهم وخالطتهم وعاشرتهم شعرت بنَفَس التخلّق فيهم، فهم على خلقٍ وعلى ثبات واستقامة حقيقة لا زيفاً ولا تمثيلاً حتى إن عبق الصدق تشمه فيهم بدون تكلّف منك ولا منهم، الأخلاق عندهم كالأنفاس لأنهم تخلقوا بها عبادةً لا تكلفاً ولا مراءآةً.
- ستجدهم أهل عبادة وتقوى إذا رأيت أو سمعت أو قرأت عن صلاتهم وقيامهم وصدقاتهم وبذلهم أنفسهم لله شعرت بشيء من الخشوع والخضوع يسري في فؤادك وقلبك وبدموعٍ تنهمر من عينيك، وليس لهذا الشعور من تفسير إلا أن الإيمان تحرك في قلبك.

هؤلاء هم اهل البصيرة الذين يُحثُ عنهم، فما مَثَلُهم إلا كحامل مصباح يمشي في طريق مظلم يُضيء الطريق لنفسه ولكل من صاحبه ورافقه... هو الصاحب الذي لا يشقى به صاحبه.

اللهم سخرهم لنا وارزقنا صحبتهم

يقول الله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ**﴾ [فاطر:١٠].

إنها آية الاعتزاز، والعزة هي طلب المكانة والوجاهة. والآية صريحة بأن من يبحث عن العزة فالعزة لله ومن الله، لا تُطلب إلا من الله ولا يعطيها إلا الله، وكل طالب للعزة من غير الله وَكَلَه الله إلى من طلب العزة منه فجاءهُ الخذلان.

لما تولى هارون الرشيد الخلافة قرّب البرامكة، ورفع شأنهم، وفي أحد الأيام غضب عليهم غضبة شديدة فأقصاهم وسجن منهم من سجن واقصى منهم من أقصى، ولم يُعرف السبب. الشاهد أن هؤلاء البرامكة شعروا بالعزة ولكنها فجأة ذهبت منهم، لماذا؟

لأن عزتهم كانت مرتبطة بمخلوق ومن طلب العزة من مخلوق سلطه الله عليه وأتاه الخذلان من جهته، فمن ترك العزيز أذله الله ومن استعزّ بالله أعزه الله ولا يستطيع ان يُذلّه أو أن يتقاوى أو يترفع عليه أحد.

- العز بن عبد السلام سجنه الحاكم فكان في سجنه يتلو القرآن فسمعه أحد النصارى فسأل الحاكم عنه فقال هذا إمام المسلمين تطاول عليكم فحبسته، فقال النصراني: لو كان قسيساً عندنا لغسلنا قدمه وشربنا ماءها، فخجل الحاكم وأمر أن يطلق سراحه ولكن اشترط على العز أن يقبل يده ليطلقه، فلما أخبروه بذاك الشرط قال لمخبره: يا مسكين إني أرفض أن يُقبِّل سلطانك يدي أفأُقبِّل يده أنا؟ يا قوم أنتم في وادٍ ونحن في واد.

إنها نبرة المستعز بالله!

- وكل من أطاع الله أعزه فالله يعزّ أهل طاعته. ومن هنا جاء الربط بين العمل والعزة ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ**﴾ [فاطر:١٠] فالعمل الذي يقبله الله ويرضاه ويحبه هو الذي يصعد إليه، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.

والمعنى أن الله جل جلاله هو الموصوف بكل طيب، وكل ما يصدر عنه فهو طيّب، ولا يقرِّب إلا الطيبين، ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً فإن لم تكن أعمالك طيبة فلن يقبلها الله. وكلما زادت أعمالكِ طيباً ازداد قبولها.

وتأمل هذا الحديث الرائع الرائق الماتع "**من تصدق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ والله طيب لا يقبل إلا طيباً فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربّيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلوّه حتى تكون مثل الجبل**". الفُلوّ: ولد الخيل الصغير.

لماذا الخيل تحديداً؟ لأن ثمة أمر متميز جداً يعرفه أهل الخيل وهو أن صغار الخيل يعتني بها صاحبها عناية عجيبة وفائقة ودقيقة، يتابع أكلها وشربها وصحتها ونموها ولها مكانة عجيبة في نفس صاحبها.

فهذه التمرة التي من كسبٍ طيب يربيها الله لصاحبها وينميها ويضاعفها، حتى تكون مثل الجبل، وهذا تضعيفٌ كبير وما هو إلا أثر من آثار طِيبه جل جلاله ومن آثار اسمه الطيبّ.

وأختم بكلمات لابن مسعود رضي الله عنه[1] وهو يتكلم عن هذه الآية فيقول: **ان العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله، أخذهن مَلَك فجعلهنَّ تحت جناحه ثم صَعَد بهنّ إلى السماء فلا يمرّ بهنّ على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهنّ وجه الله عز وجل ثم قرأ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.**

اللهم طيّب نياتنا وأقوالنا وأفعالنا واجعلنا من الطيبين وأمِتنا على هذا الطيب واجعلنا ممن يُقال لهم طِبتم فادخلوها خالدين ... اللهم آمين

---

[1] تفسير ابن كثير

اللقاء الرابع

اللقاء الرابع

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١ ﴾.

كم نمر على هذه الآية ولا يخطر ببالنا حال القراءة إلا الأنثى الآدمية فقط وهذا تحجيم وتضييق للمعنى، إنها تشمل كل أنثى، أنثى الطيور، أنثى الزواحف، أنثى الحشرات، أنثى السباع، أنثى البهائم...... تشمل كل أنثى.

ثم تأمل هذه اللحظة التي تقرأ فيها هذا الكلام كم من أنثى حملت؟ وكم من أنثى وضعت؟ وكم من بيضة فُقِست؟ والله وحده يعلم متى وكيف وأين حملت هذه الأنثى ووضعت؟ أفي الغابات أم في الجبال، في البحار أم في الصحاري، في الجحور تحت الصخور.

الله وحده الذي يعلم وسع علمه كل شيء وأحاطه علمه بكل شيء.

- وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ .

طول العمر وقِصره كله بقدر الله، والتعمير والنقص له صورتان:

١/ **التعمير** قد يكون بطول العمر والأجل، وقد يكون بالبركة التي يضعها الله في عمر وعمل هذا الإنسان.

وكما قيل " رب ساعةٍ تعدل عمراً بما يتم فيها من أعمال وآثار، وربَّ عامٍ يمر خاوياً فارغاً لا حساب له في ميزان الحياة ولا وزن له عند الله"[١].

تأمل في حياة الإمام النووي رحمه الله تعالى الذي عاش أقل من خمسة وأربعين عاماً ولكن طرح الله له بركة عجيبة في عمره وعمله، والبركة كما هو معروف إذا حلت في شيء لا تسلْ عن سعته وبسطه ونمائه وكثرة خيره.

كتب هذا الإمام ومؤلفاته سارت مسير الشمس وانتشرت في أقطار الدنيا، فلا يكاد مسجد ولا معهد ولا مركز إسلامي إلا وتجد فيه (الأربعون النووية / رياض الصالحين) ولقد تُرجِمت بأكثر لغات العالم، حفظها ودرسها آلاف وآلاف من طلبة العلم، وكل مؤلفاته رحمه الله تلقّاها الناس بالقبول خواصهم وعوامهم.

يا ترى ما السر في هذا القبول وهذا الانتشار وهذا البقاء لهذه الكتب بالرغم أن كثير وكثير من العلماء ألّفوا غيرها وعلى نهجها ومع ذلك لم تبقى ولم تنتشر؟؟

---

[١] موسوعة التفسير الموضوعي – سورة فاطر

لا يوجد إلا تفسير واحد، إنها البركة التي وضعها الله لهذا الإمام المبارك الذي إن قرأت في سيرته وترجمته تجده قد هجر كثيراً من الملذات والمباحات.

كان قليل النوم لا ينام إلا إذا غلبه جداً وقيل أنه كان ينام جالساً! كان عابداً ناسكاً ليثاً على نفسه لا يبالي بخراب الدنيا طالما أن دينه بخير، يحضر في اليوم الواحد اثنا عشر درساً، كان يقرأ ويتابع القراءة في ذهابه وإيابه.

هذا الاجتهاد وهذا الإقبال على الله لم يضيعه الله بل كافأه عليه، إنه وعد ومن أوفى بعهده من الله ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت:٦٩].

فمن أحسن مع الله الصنيعة أحسن الله له المثوبة، فنشَر الله له علمه في العالمين.

ولقد كشف ابن القيم رحمه الله عن عمل المبارك فقال "فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حلَّ ونصحه لكل من اجتمع به.

قال تعالى مخبراً عن المسيح ابن مريم أنه قال ﴿ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ**﴾ [مريم:٣١] أي معلماً للخير، داعياً إلى الله، مرغباً في طاعته.

والبركة في النفس تشمل أصولاً ثلاثاً:

الأول: البركة في الإيمان، والمقصود بها حرص المرء ان يكون من أهل الطاعات والصالحات، ذا برٍّ وتُقى.

الثاني: البركة في العلم، والمقصود بها: تنمية العقل والذهن بما ينفعه من العلم ونفع الناس به.

الثالث: البركة في التعامل، وهو فيما يتعلق بجانب الخُلُق والأدب.

وهذه الأصول جوامع البركة في نفس الرجل[1].

٢/ **والنقص في العمر** قد يكون بتقصيره، وقد يكون بنزع البركة منه وإنفاقه في اللهو والعبث وتبديده في الكسل والفراغ والعياذ بالله.

---

[1] مقالة عبد الله بن سليمان العقيق بعنوان (كُن مباركاً)- موقع صيد الفوائد. -بتصرف-

آيــة الافــتــقـــار

قال تعالى ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾

إن أول ما يلفت نظر القارئ لهذه الآية هو أن الله عز وجل نادى الناس جميعاً: مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، طائعهم وعاصيهم، مجرد أنك مخلوق فأنت فقير، وفقرك ملازمٌ لك لا ينفك عنك.

– حُكي أن بعض الصالحين خرج يوماً يطوف بالسكك يبحث عن قلبه لعله أن يجده!! والقلوب ميتةٌ في الصدور حتى يحييها الله.

فدخل سكة من السكك فوجد صبياً يبكي قد ضربته امه واخرجته من الدار وأغلقت الباب دونه. أخد الصبي يتلفتُ يمنةً ويسرة، لا يعرف أين يذهب وأيُّ طريق يسلك؟ ومع من يتحدث؟ فألصق نفسه بالباب ووضع خده عليه وأخذ يبكي وينادي أمه!! أكثر من البكاء ثم غلبه النوم.

فقدت الأم صوت ابنها، فتحت الباب تبحث عنه فإذا هو نائمٌ على عتبة الباب، مباشرةً ألصقته بصدرها، احتضنته، أخذت تحنو عليه وتمسح على وجهه وشعره يا بني لو أطعتني ولم تخالف أمري لِمَ أفعل بك ذلك؟ يا بني انت الذي جعلتني أغلق الباب في وجهك. يا بنيّ ... يا بنيّ...

عندها صاح ذاك الرجل الصالح وهو ينظر لهذا المشهد أمام عينيه وأخذ يقول: الآن الآن وجدت قلبي!!!

يا ترى أين وجد قلبه؟؟

وجده في الإفتقار، في الإنكسار، في الإنطراح بين يدي ربه.

يقول سهل بن عبد الله: **ليس بين العبد وبين ربه طريقٌ أقرب من الإفتقار.**

إن أسرع باب يدخل منه العبد على ربه هو باب الإفتقار... هو روح العبودية ومُخّها ولُبّها، فالقلبُ إذا ذل وافتقر فإن لحظة انكسار واحدة قد يرتفعُ بها عند ربه بما لا يخطر له على بال.

يقول ابن القيم رحمه الله: **إن الله إذا اراد أن يُعزّ عبده ويجبره وينصره كسره أولاً فيكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره**[1].

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد- جملة الفوائد المستفادة من غزوة أحد

تأمل في الإفتقار الكبير الذي افتقره موسى عليه السلام ثم كيف كان جبر الله له أمام هذا الإفتقار؟؟

خرج موسى عليه السلام خائفاً يترقب، ورد ماء مدين فوجد عنده أمرأتين تذودان اغنامهم عن الماء حتى لا تزاحمان الرجال على الماء، فتقدم فسقى لهما ثم انصرف وتولى إلى الظل وقال ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص:٢٤].

هو الآن في حالة هرب وخوف وقلق وجوع ومصير مجهول لا يعرف إلى أين سيذهب؟ لا يعرف مكاناً ولا مأوى، لا يعرف مع من سيعيش ويبقى!!

من رحِم هذه المشاعر خرج هذا الدعاء العظيم الذي أخذ موسى يستمطر ويستدر به رحمة ربه. هذا الدعاء يبين ما في قلب موسى عليه السلام من قوة الإعتماد على الله وتفويض الأمر إليه.

هو لم يسال ربه سؤالاً محدداً، لم يقل يا رب أمِّن خوفي، أو يا رب أطعمني فانا جائع، أو يا رب يسر لي مكاناً يؤويني... إنما فوض أمر العطاء لمن بيده ملكوت كل شيء، لمن بيده خزائن كل شيء، لقد انكسر بين يدي الملك العظيم فخرجت هذه الكلمات من قلب صادق، ارتوتْ وسُقيت بالصدق ومدار الأمر كله قائم على الصدق، ولما تقدّم هذا الدعاء الصادق إحسانٌ للخلق جاءهُ الإحسانُ من الله.

جاءهُ سريعاً، وكبيراً، ومُفرحاً، وجابراً لكسره، جاءه تعويضاً يُنسيه كُل شيء، ويُنسيه كُل ألم وكل جوع، وكل تعب وكل مشقةٍ شعر بها ﴿ **هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن:٦٠].

هو أحسن إلى الفتاتين فأحسن الله إليه وكما تكون للناس يكون الله لك.

هو بنفسه ضعيفٌ فقير ويشكو حاله وفقره لربه، وكلنا على الله فقراء، لسنا فقط فقراء للمال والزوجة والولد والمسكن والمركب، بل فقراء إلى الله في كل شيء وفي أصغر شيء، حتى في شربة الماء التي نشربها إن لم ييسرها الله لنا فلن تتيسر ولن نحصل عليها.

لما اظهر فقره وصَدَق وانكسر فُتِحَت له أبواب العطايا: جاء الأمن، وجاءت الوظيفة، وجاءت الزوجة، ثم جاءت العطية الكبرى أكبر عطاء واكبر نوال، جاءته النبوة ورُزِق مقام التكليم.

جاءت العطايا الكبار بعد الإفتقار.

كُن على يقين أن العبد إذا سلّم نفسه لربه وتذلل لعظمته وانكسر بين يديه فما أسرع أن يُغنيه الله غنىً حسياً ومعنوياً. حسياً بأن يعطيه مطلوبه وأكثر منه، ومعنوياً وهو ذلك الإيمان والجبر والرضا والأنس واسترواح الفرج الذي يُنزّله على قلبه.

***واستمع قارئي الكريم لهذه القصة:**[1]

يُقال أن أعرابياً من أهل المدينة أصابته فاقة فذهب إلى أحد أولاد جابر رضي الله عنه فقال له: هلمَّ إلى عبد الله بن عامر لعلنا أن نصيب منه خيراً (أي اذهب معي إلى أمير الكوفة عبد الله بن عامر وكان يُضرب به المثل في كرمه وسخائه).

يقول ابن جابر: فانطلقتُ معه. حتى وصلا للكوفة فقال ابن جابر: يا فلان أولا أدلك على خيرٍ مما نحن فيه؟؟

قال الأعرابي: وما هو؟

قال ابن جابر: نصلي ركعتين فنستخير الله بالدخول على عبد الله بن عامر.

فقاما وصلّيا، فلما انتهيا قال ابن جابر للأعرابي: ماذا رأيت؟ قال: رأيت أن ندخل عليه.

قال ابن جابر: أما أنا فطابت نفسي أن أرجع للمدينة فإن الذي اعطى عبد الله بن عامر العراق وجعله أميراً عليها هو ربي وسيعطيني ويسد حاجتي.

رجع ابن جابر للمدينة ودخل الأعرابي على عبد الله بن عامر وقصّ عليه قصته كاملة، فقال عبد الله بن عامر: أعطوا الأعرابي ألف دينار وأعطوا ابن جابر مائتي دينار!!

لقد تكفّل الله أن كل من استغنى به سيغنيه. ومن هنا جاء اقتران اسم الله الحميد بالغني، فإذا عرفت سر هذا الاقتران انفتحت لك بوابة من الرجاء...

فأنت إذا اتصلت بالله الغني فإن الله الحميد سيحمدُ لك ذلك وسيجعلك أنت أيضاً تحمدُ عاقبة اتصالك بهذا الرب الغني فيغنيك بما لا يخطر لك على بال...

وهذا معنىً بديع يزيد من تعلق الإنسان بربه، ويزيد من ثقته ويقينه وحُسن ظنه بربه.

فالله هو الغني، غنيٌ عنّا ما خلقنا ليستكثر بنا أو لأنه محتاجٌ إلينا، فلا يزيد في ملكه كثرتنا أو طاعتنا ولا يُنقص من ملكه قِلتنا أو معاصينا **(يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني...)**[2].

كل من عرف هذا الكمال في الغِنى زاد افتقاره، وهذه هي الثمرة المرجوة التي نريدها.

ليست الثمرة أن تعلم أن الله هو الغني ثم تتوقف، بل المراد أن تعلم أن الله هو الغني ثم يظهر أثر هذا العلم عليك بزيادة الافتقار وزيادة التعلق والتذلل والركون إليه.

---

[1] نقلاً عن درس علمي لدكتور محمد مختار الشنقيطي حفظه الله

[2] رواه مسلم (١٦٥)

الله عز وجل ذمَّ صنفاً من الناس فقال ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [المؤمنون:٧٦].

﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنعام:٤٣].

﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**﴾ [الفرقان:٧٧].

أنتم بدون تذلل ودعاء وضراعة وانطراح لا شيء في ميزان الله، فمن أكبر الحرمان أن تُحرم الدعاء، وتُحرم المناجاة، وتُحرم الافتقار!!!

من أكبر الحرمان أن تعجز ولا تجد ما تنطرح به بين يدي ربك، أن تعجز ولا تجد ما تُثني به على ربك وتستمطر به رحمته وتستفتح به خزائنه.

ذكر الدكتور عبد الله المقبل عن قصته مع رجل صاحب مكانة علمية مرموقة، ناجح في حياته، متفوق في عمله، كل أسباب السعادة متوفرة لديه، مال ومنصب وشهادات، قابله في يوم عرفة في مسجد نمرة..

وهما جالسان في المسجد يقول رأينا شخصاً يدعو ويبتهل ويلح في الدعاء وكان قائماً فأجهش في البكاء، ثم قعد فانخرط في بكاءٍ طويل...

يقول: عندها نَظَر إليَّ صاحبي ودمعةً تنحدر من عينيه وقال: خذ أموالي، وخذ شهاداتي، وخذ كل شيء، وأعطني لحظة روحانية كهذه!! ثم سكتَ وسكت[1].

حين نراجع أنفسنا نجد أننا نعاني ما يعانيه هذا الرجل فقدنا الروحانية! فقدنا البكاء! فقدنا الدموع! فقدنا هذه العبودية وهذا النعيم القلبي.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا؟؟

سأجتهد معكم ونُجمل الجواب في ثلاث أسباب رئيسية ويندرج تحتها الكثير من الفروع.

أولاً: الذنوب والمعاصي.

فقد قيل " **إذا أردتَ أن تعرفَ الخلل الذي أصابك أو الخذلان الذي ابتُليت به أو النكسة التي انتكستها ففتش عن المعصية**، فالله يقول ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى:٣٠].

إنها الذنوب...

---

[1] مقالة دمعة في نمرة ١٤٣٤/٢/٨هـ - موقع المسلم

- ذنوب خلوات أو شهوات محرمة، خطرات وتفكير محرم، معاصي قلبية أو معاصي جوارح، صغائر أو كبائر... أياً ما كان نوعها، فهي التي ضيعت علينا قلوبنا وأسقطت قلوبنا، لوثتها، أجدبتها حتى غدت كالصحراء المقفرة يابسة ناشفة لا نبات فيها ولا زرع ولا ماء ولا رِيّ ولا سُقيا، فأنّى لهذه القلوب ان تفتقر إن كانت هي بذاتها مقفرة؟؟
- ومما يزيد الأمر صعوبة أن هذه القلوب فقدت عبودية من العبوديات التي ترفع الإيمان وتقفز به عالياً ألا وهي عبودية الترك (**من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه**).

أحياناً تمر علينا أياماً وأسابيع بل وشهور ونحن نفقد هذا المعنى وهذه العبودية!! نجد أنفسنا لا نستطيع أن نترك تلك الشهوة ولا تلك المعصية وما زالت تأسِرُنا، وما زلنا نصبح ونمسي عليها، ما زلنا نخوض وننغمس فيها.

وعلى مقدار الترك يكون التعويض، والعِوض من الله أنواعه وصوره وأشكاله مختلفة وكثيرة ومن أجلّ وأكبر العِوض أن تُرزق قلباً مخبتاً امتلأ بالأُنس بالله ولذة المناجاة ولذة القُرب الشكاية والافتقار والتملق بين يدي الله، ونحن فقدنا الترك وضعفت عزائمنا وتفلتت وضعفت مجاهدتنا لأنفسنا، فما عدنا قادرين أن نترك فحُرِمنا التعويض!!

- وجمعنا إلى ذلك أيضاً أمراً ثالثاً أحسبه زاد الأمر سوءاً على سوءه ألا وهو (**نقصان المُزاحمة**).

ومن المعلوم أن الطاعات تزاحم المعاصي، والحسنات تزاحم السيئات، تطرد، تدفع، تزيل لكننا قصرنا حتى في المزاحمة، قلّت نوافلنا، قلّ استغفارنا، قلّ قرآننا، قلّت طاعاتنا، انعقدت ألسنتنا عن الذكر الذي هو من أيسر العبادات وأهونها إلا أن ألسنتنا ثقُلت ثِقلاً عجيباً حتى لا تكاد أن تتحرك أو تنطق!! فكيف نُرزق الافتقار؟؟

والخلاصة التي اريد أن أقولها لك قارئي الكريم أن الأرض الرملية لا تُنبت، والأرض الصخرية لا تُنبت، والأرض السبخة لا تُنبِت، لن تُنبِت إلا الأرض الخصبة فقط وحين تُنبت هذه الأرض فلن تعطيك نوعاً واحداً من الثمر، لا. وإنما ستعطيك زروعاً ونخيلاً وزيتوناً ورماناً وتيناً.. تعطيك ثمراً كثيراً.

لكن المهم أن تكون أرضك خصبة، وهذه الأرض الخصبة المقصود بها (**القلب**)،

انتبه لقلبك وأدرِك قلبك قبل أن يضيع منك، قلبك هو الأساس الذي تنطلق منه جوارحك، قلبك هو مطيّتك ومركبك، فجوّد مركبك وأصلح مطيتك فإنما السير إلى الله هو سيرٌ بالقلوب لا الأجسام وتدارك قلبك وأري الله من قلبك خيراً وادعُ وألِح على الله أن ينصلح قلبك حتى يعينك على السير، يعينك على الدخول على الله وتُرزق الإفتقار.

ثانياً: قلة معرفتنا وعلمنا بالله وأسمائه وصفاته.

فما عرفنا الله حق معرفته، ولا عظمناه ولا قدرناه حق قدره، نصلي نقرأ نتصدق ندعو، هكذا مجرد حركة جوارح، حركة لسان بدون اضطرار، وبدون لجّأ، وبدون قلب.

يقول الفضيل: "**رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله**"[1].

قام عبد الملك بن مروان ذات يوم خطيباً في الناس فقطع خطبته وأخذ يبكي بكاءً شديداً، ثم قال كلمات تفهم من خلالها كم كانوا يعرفون الله:

قال: "**اللهم إن ذنوبي عِظام وهي صِغار في جنب عفوك يا كريم فاغفرها لي**"[2].

لما بلغت هذه الكلمات للحسن قال: لو كان هناك كلام يُكتب بماء الذهب لكان هذا الكلام.

أبو الحسن الرازي رحمه الله كان ممن يعظ الناس ، كان يقول في مناجاته: "**اللهم إني نصحتُ الناس قولاً وخُنْتُ الناس فعلاً فهبْ خيانة فعلي لنُصح قولي**"[3].

ما أعظمها وما أنفسها من كلمات..

تأمل كيف يمقت نفسه ويصغّرها في جنب الله.. فمعنى كلامه: [نعم أنا أنصح الناس وأعلمهم وأنا صادقٌ في نصحهم لكني مقصرٌ في نفسي، عندي ما عندي من السوآت والسقطات والزلات التي لا يعلمها إلا أنت... وإن أخفيتها يا ربي عن البشر فهي لا تخفى عليك.. وليس لي إلا أنت.

يعرفون كيف يفرون إلى ربهم وكيف يفتقرون إليه، هم يعاملون الله وما خاب عبدٌ عاملَ الله أبداً..

اللهم اجعلنا مثلهم واسلك بنا طرقهم

ثالثاً: تعلق القلوب بالبشر.

وهذا من أعظم البلاء، فمن أعظم الناس خذلاناً من تعلّق بغير الله.

ونحن أكثر ما أتعبنا وأرهقنا وأشقانا وأبكانا وأجدب قلوبنا وأضعف إيماننا أنا سلمنا قلوبنا لمخلوقين مثلنا.. انشغلنا بهم فشُغِلنا عن ربنا.

سلمنا قلوبنا لهم، ووقفنا على أبوابهم كثيراً فشقِينا بهم واكتوينا بنارهم مِصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " **من تعلّق بشيء وُكِل إليه**"، فوقعنا في اسر القلب واستعباده، وأسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن.

فلو تحررنا من الخلق وفرّغنا قلوبنا منهم وجعلنا الله هو غايتنا ومقصودنا وهمّنا فسوف يُرضي الله نفوسنا المتعبة، ستستقر أحوالنا، سنأنس بالله، سنفتقر إلى الله.

---

[1] المكتبة الإسلامية على شبكة إسلام ويب
[2] سير أعلام النبلاء (٤/٢٤٦)
[3] طبقات الأولياء

فانظر قارئي الكريم أين يبيت قلبك، هل يبيت عند الله أم عند المخلوقين! عندها ستجد الإجابة بنفسك على السؤال الذي ابتدأنا به: لماذا فقدنا عبودية الإفتقار؟

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أنْ تُصلِح قلوبنا وأنْ تُطهِّر قلوبنا وأنْ تُفرِّغ قلوبنا

اللهم املأها حباً لك وصدقاً معك وإقبالاً عليك وخشية منك ورجاءً فيك

اللهم املأ قلوبنا بك لا بغيرك

اللهم املأ قلوبنا بك لا بغيرك

اللهم املأ قلوبنا بك لا بغيرك

اللهم إنا بشر يعرض لنا من الفتن ما يحيد بنا عن طريقك فإنْ حدنا عنك فردنا إليك رداً جميلاً حميدا يا رب العالمين

اللهم آمين

اللقاء الخامس

اللقاء الخامس

آيات البشائر

البشارة هي الإخبار بالشيء السار. والله عز وجل كثيراً ما يبشر عباده في القرآن.

قال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [يونس:٢].

وقال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

ويقول جل وعلا كما في سورة الزمر ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾ [الزمر:١٧].

والنبي ﷺ كان يبشر أصحابه، أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة، عثمان في الجنة، علي في الجنة، طلحة في الجنة، سعد في الجنة،.......[١]

- حين يقول لعكاشة وهو يسأله أن يدعو له بأن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب فيقول أنت منهم..
- حين يقول سأعطي الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فيعطيها علي رضي الله عنه[٢].

أوليست هذه بشارات؟؟ أوليس قد أدخل الفرح على قلوب أصحابه؟؟

وما منّا من أحدٍ إلا وهو يتمنى أن يُبشَّر... ها هي آيات البشائر دونكم.. أسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

قال تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾ إنها آية القراء... كل من وثّق صلته بالقرآن، وتعلّق بالقرآن، وأحبه وأحبّ تلاوته وسماعه وتعلّمه وتعليمه والتفّ حول مائدته فليبشر بالخير، وليبشر بالقُرب.

- يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: **تقرب إلى الله تعالى ما استطعت واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه**[٣].

---

[١] رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني

[٢] مسند الإمام أحمد

[٣] رسائل ابن رجب

الخير كله في القرآن ... والعز كله في القرآن... ولو كان هناك كلاماً إذا كُلِّم به الموتى يحيون، ولو نَزَل على الجبال لتحركت لكان هذا القرآن فهو عظيم بعظمة من تكلم به.

وجميعنا سيقف في موقف لا يستطيع فيه أحدٌ أن يتكلم، لا مَلك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ﴿**وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾ [طه:١٠٨].

في ذاك الموقف المهيب سيتكلم القرآن، ويحُاجّ القرآن عن أهله الذين ربطوا أنفسهم به وانشغلوا به ولم يهجروه. يقول ﷺ: " **يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما** "[١].

هذا رسول الله ﷺ ينصح أمته فيقول: "**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**"[٢].

اقرؤوه، لا تهجروه، فإن كان أصحابه من أهل الذنوب شفع لهم القرآن حتى يخلصهم من ذنوبهم، وإن كانت ذنوبهم قليلة وقد وُفِقوا للتوبة منها في الدنيا فإن القرآن يشفع لهم حتى ترتفع درجاتهم في الجنة.. نسأل الله من فضله

فلا تحرموا أنفسكم من القرآن ولا ترضوا لأنفسكم بالقليل من القرآن.

● يقول ابن الجوزي رحمه الله: **أشد الناس بلاءً المحجوبون عن ربهم وأشد المحجوبين بلاءً الذين لا يشعرون بالحجب**[٣].

كل من زهد في القرآن وابتعد وهجر وأصبح بينه وبين القرآن أياماً وأسابيع وطالت المسافة بينه وبين القرآن فهو محجوب والعياذ بالله. وسيأتي على الناس يوم يبكي فيه الواحد منهم بكاء الندم، الندم الذي لا ندم فوقه، سيبكي على الساعات والأعمار والأوقات التي ضاعت بلا شيء.. فمن ضيّع حظه من القرآن فقد ضيّع نفسه.

** تأمل الفعل الذي ورد في الآية (**يتلون**) جاء بصيغة المضارع وهو يدل على الديمومة والاستمرار، فهم دائموا التلاوة، دائموا الصحبة، دائموا الصلة بالقرآن لا ينقطعون.

● الشيخ عبد العظيم بدوي، وهو من علماء مصر وقد سافر معه أحد الطلبة من طنطا إلى القاهرة يستغرق سفرهم ما يقارب خمس ساعات فيقول لما تحركت السيارة بدأ هو ومرافقه يقرؤون من سورة الأنفال هذا يقرأ صفحة ثم يكمل الآخر صفحة أخرى حتى وصلوا للقاهرة وكانوا قد أنهوا خمس أجزاء!!![٤]

---

[١] رواه مسلم (٢١٢١)

[٢] رواه مسلم (٨٠٤)

[٣] صيد الفوائد

[٤] كتيب ربيع قلب- إصدار الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم لمحافظة الطائف

● الشيخ عبد الكريم الخضير حفظه الله رافقه أحد الطلبة من جدة إلى مكة في سيارته، فلما تحركت سيارته فتح مصحفه وأخذ يقرأ قراءة حدر، فما أن وصل مكة إلا وقد أنهى البقرة وآل عمران[1].

تأمل هذا حالهم مع القرآن وهم من المشايخ الكبار فكيف بنا نحن؟؟

** **ثم جاءت الصفة الثانية** ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ .

ما الرابط بين الاستمرار على تلاوة القرآن وبين إقامة الصلاة؟؟

السر والله أعلم أنَّ من أكثر من قراءة القرآن أُعين على الطاعة، سَهُلَتْ عليه العبادة، أُعين على إقامة الصلاة وعلى الإنفاق في سبيل الله.

من الفوائد أيضاً أن هؤلاء القُرّاء جمعوا بين القراءة والفهم والتدبر والعمل، والدليل على هذا أن إقامة الصلاة والإنفاق جاءت بعد التلاوة، فهذا برهان عملي أنهم عملوا بالقرآن واهتدوا بآياته، لم يقف القرآن عند حناجرهم وألسنتهم بل ظهر على جوارحهم.

وجاء لفظ الإقامة (**أقاموا الصلاة**). وإقامة الصلاة إتمامها وإتمام ركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها وحضور القلب فيها.

والإقامة أمر زائد عن مجرد الأداء، وكل النصوص الشرعية جاءت بلفظ الإقامة لا بلفظ الأداء. فمن أقامها استقامت حياته، ومن ضيعها ضاعت حياته. وسنُشير لفائدة نفيسة تعيننا على إقامة الصلاة، أعطتنا علاجاً لكل من يشكو من عدم الخشوع في الصلاة.

يقول الله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم:٥٩].

بقدر ما يكف الإنسان عن الشهوات بقدر ما يُعان على إقامة صلاته.

فتّش في نفسك .. فتّش في شهواتك .. فتّش في خارطة يومك وأسبوعك وشهرك ستجد يقيناً أنك حُرِمت من إقامة الصلاة بسبب شهواتك. فلو حفظنا الله في جوارحنا وأسماعنا وأبصارنا وقلوبنا لحُفِظنا في صلاتنا (**احفظ الله يحفظك**).

هذه الشهوات مرتبطة بالجوارح وكل هذه الجوارح تصب في القلب وتؤثر عليه، فكلما قللت وخففت من الشهوات ستجد للصلاة أثرٌ عليك، وفي المقابل كلما أقمت الصلاة سيخف تأثير الشهوات عليك[2].

---

[1] نفس المصدر

[2] درس الدكتور/ عمر المقبل في شرح سورة فاطر- بتصرف

** **الصفة الثالثة:** ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾

تأمل: في الصلاة أحسنوا في علاقتهم مع ربهم، وفي الإنفاق أحسنوا علاقتهم مع الخلق، وأكمل الناس عبودية من جُمِع له المقامين، الإحسان مع الله والإحسان مع الخلق.

الإحسان في حق الله هو المرتبة الثالثة من مراتب الدين.. هو الذي سأل عنه جبريل عليه السلام رسولنا ﷺ حين قال: "**أخبرني عن الإحسان؟ فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"[1].

المراتب ثلاثة: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان.

فالإحسان هو أضيق الدوائر، ولا يكادُ يصل إليه إلا الندرة من الناس، مقام عالٍ شريف يحتاج إلى جهاد ومجاهدة، يحتاج إلى إيمان وإخلاص وإلى علم وعمل وقوة خفاء بين العبد وربه.

الإحسان مرتبتان: المشاهدة والمراقبة، من وفِق لها فقد وُفِق، ونسال الله أن يعيننا وإياكم للوصول والتوفيق إليها والثبات عليها فليس الشأن في الوصول فقط بل بالثبات عليها. نعم قد نصل في بعض عبودياتنا إلى شيء من الإحسان ولكن سرعان ما نفقده.. والمؤلم اننا نحن الذين نُفرِّط ونتساهل ولا نعرف قيمة الوصول لمثل هذه المراتب العليا، لذلك يقول بعض أهل العلم: إن من الإحسان أن نُحافظ على الإحسان.

إن العابِد في مرتبة الإحسان يكون على صفتين:

المشاهدة: وهو الذي يؤدي العمل ويؤدي العبادة وكأنه يتخايل الله بين عينيه كأنه ينظر إلى الله، ولا يعني هذا تمثيلُ الله سبحانه وبحمده فليس كمثله شيء وهو السميع البصير، إنما هو توصيفٌ لحال العابد.

ولله المثل الأعلى.. أنتَ إذا عملتَ العمل أمام من كلفكَ به فكيف ستؤديه وهو جالسٌ أمامك ينظر إليك؟؟ لا شك ولا ريب ستكون أكثر إتقاناً له لأنك بين يدي من كلفك.

المراقبة: أقل درجة من الأخرى يستشعر العابد أن الله ينظر إليه ويرى عمله وينظر إلى قلبه ونيته فيستحيي من ربه أن ينظر لقلبه فيجده مصروفاً عنه منشغلاً بغيره.

إنه الإحسان الذي به يحقق الإنسان العبودية ظاهراً وباطناً. **ومن وُفِق لهذه المرتبة رُزِق بأمرين:**

- **الأول:** سهُل عليه ترك المعصية، فلا يستطيع كلما وردت عليه معصية أن يتلبس بها ويستسهلها ويخوض فيها.
- **الثاني:** رُزِق الخشية والحياء من الله.

---

[1] رواه مسلم

- تأمل في حياء الصديق رضي الله عنه وهو يقول (**والذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب للغائط في الفضاء متقنّعاً بثوبي استحياءً من الله عز وجل**)[1].

- أبو موسى الأشعري يقول: **إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حياءً من ربي**[2].

- ابن عمر يطوف في البيت ولا يرد على من يكلمه ويستعجب ممن يسأله ويكلمه في الطواف!! فيقول **تسألني ونحن نتخايل الله بين أعيننا؟؟**[3]

هذه المرتبة لا تحتاج فقط إلى علم راسخ وإنما تحتاج إلى أصل كبير يقوم في قلب العبد ألا وهو تقديره وإجلاله لمقام نظر الله إليه!! ***أن يكون الله كبيراً في قلبه***.

وصدق ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: **رأس العلم الخشية**.

الثمرة الحقيقية التي يعرف بها العبد أنه انتفع من علمه ان تزداد خشية الله في قلبه. فإذا لم يزدك العلم خشيةً تجعلك تتذكر الله عندما ترد عليك المعاصي وتجعلك تبقى مع نفسك تكفكفها كما يكفكف الراعي إبله، وتستحضر رقابة الله وأن الله هو الرقيب الذي لا يغفُل عن شيء، يراقب الأشياء والخواطر واللواحظ والسرائر والأفعال والأقوال ولا يعزب عنه صغير ولا كبير، وتدخلك في مقام الخوف من الله، فليس للعلم فائدة إذاً.

فلينتبه طلبة العلم إذا كانوا سيستمرون في طلب العلم والإزدياد منه وخشية الله في قلوبهم هي هي لم تزدد ولم ترتفع بل لربما نقصت أو تفلتت. فليراجعوا انفسهم وليعلموا أنهم على خطر ولا يستكثروا من حجج الله عليهم حتى لا يلقونه وهم مفلسون، فإن من أعظم الخذلان أن لا يجد الإنسان لعمله بركةً عليه ولا لذةً ولا خشوعاً ولا إخباتاً، فإذا كان لم يحصّل هذه البركة في حياته فكيف يرجوها بعد وفاته!!!

- ثم ذكر الله الصفة الرابعة لهؤلاء الرابحين في قوله ﴿ **يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ** ﴾.

هل كانوا يرجون عرضاً دنيوياً؟ الجواب: لا. إنما يرجون تجارة لن تبور ولن تفسد ولن تخسر، وكل تجارات الدنيا معرضة للخسارة والبوار إلا إذا تاجر العبد مع ربه فهي تجارةٌ ثمرتها مضمونة وربحها مضمون، فما سمعنا أن عبداً تاجر مع ربه وخسر.

إنها صفة الإخلاص.. فهم ليس لهم إلا همٌ واحد وهو الإخلاص، يرجون ويطلبون رضا ربهم.

---

[1] أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٣٦٨)

[2] أخرجه أبو نعيم في الحلية

[3] ابن سعد في الطبقات (١٦٧/٤)

ثم ماذا سينالون بعد كل هذا؟ (**ليوفيهم أجورهم**). وإذا وفّاكَ الكريمُ أجرك فلا تسلْ عن قدره، إذا وفّاكَ الكريمُ فماذا تظن وبأي ربح خرجت؟؟

(**ويزيدهم من فضله**) وفضل الله لا يُعد ولا يُحصر ولا يُحسب، فضل الله واسع ماله من نفاد.

وما نالوا كل هذا الفضل وهذه الأجور إلا لأن ربهم (**غفورٌ شكور**). فالمؤمن مهما اجتهد في الطاعة لا بد أن يحصل عنده شيء من الخلل والتقصير والتخليط وعدم الإتقان، فلن يأتي احد بالعمل كاملاً تماماً، لا بد من النقص وهذا النقص تجبره المغفرة.

ومن جهة أخرى، المؤمن بشر غير معصوم قد يرد على قلبه أثناء العبادة شيء من النزغات والواردات والخواطر (رياء- عُجب- شهرة- إرادة الدنيا- ملل- استثقال- تراجع...) ولا يعلم ما يدور في الصدور وما يلوك فيها إلا الله، هو وحده اللطيف الخبير يعلم ما خفي ودق وغمُض ومع ذلك يعامل عبده بحلمه ومغفرته وشكره.

- هو الذي يعطي الكثير الكثير على العمل القليل، هو الذي يجازي على المعروف بأكثر منه.
- هو الذي يشكر الحسنة فيجعلها بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة.

ومن شُكره أنك إذا أتيته بقلب يحتاج إلى طهارةٍ طهره لك.

ومن شُكره أنه ينشر للعبد طِيب إحسانه، فيُثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، وثم يُلقي له المحبة في قلوب الناس والقبول في الأرض، وتنجذبُ القلوب وتُساق إليه سوقاً. والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقبل بها وإن شاء صرفها، فالحب والبُغض والإقبال والإدبار، وكل ما يدور في القلب أمر يملكه الله وحده.

- ومن شُكره أن من ترك شيئاً لله أعطاهُ أفضل منه وخيراً منه، وقد قيل: **من ترك شيئًا لله آتاه الله كل شيء**.

❖ استمع لهذة القصة:

يروي ابن جرير الطبري إمام المفسرين قصة رآها فيقول: كنت في مكة في موسم الحج فرأيت رجلاً من خراسان ينادي: يا معشر الحجاج فقدتُ كيساً فيه ألف دينار فمن رده إليّ جزاه الله خيراً وأعتقه من النار وله الأجر والثواب يوم الحساب، فرأيت شيخاً كبيراً من أهل مكة قال: يا خراساني بَلدُنا حالها شديد وأيامُ الحج معدودة، وأبوابُ الكسب معدودة، فلعل هذا المال يقع في يد مؤمن فقير وشيخٍ كبير يطمعُ في شيءٍ من عندك.

قال الخراساني: وما مقداره؟ قال الشيخ: العُشر يعني مائة دينار. فقال الخراساني: والله لا أفعل ولن أعطيه ولا ديناراً واحداً وسأفوض أمري إلى الله وهو حسبي يوم ألقاه. وانتهى الحوار بينهما وانصرف كل منهما.

يقول ابن جرير: فوقع في نفسي أن المال عند هذا الشيخ الكبير، فتبعته حتى دخل منزله واخذ ينادي على زوجته وكان صوته عالياً: يا لُبابة يا لُبابة، قالت: لبيك أبا غياث.

قال: وجدتُ صاحب الدنانير، ولا يريد أن يجعل لمن وجدها شيئاً، فقلت له أعطه مائة دينار فأبى وفوض أمره إلى الله، فلا بد لي من ردها فإني أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم.

فردت عليه زوجته: يا رجل نحن نقاسي الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات، يا رجل اتقِ الله فينا، لا شاة ولا مرعى ولا شبعنا منك قط، فاكسِنا وخذ المال وتاجر به ثم ردّهُ واجعله ديناً.

فقال لها: أآكل حراماً يا لبابة بعد ستٍ وثمانين سنة؟ أأحرق أحشائي في النار بعدما صبرتُ ستٍ وثمانين سنة على فقري وأستحقُ غضب الجبار وأنا قريب من قبري؟ لا والله لا أفعلها يا لُبابة.

فيقول ابن جرير: فانصرفتُ وأنا في عجب من أمره وأمر زوجته.

وفي اليوم الثاني جاء هذا الخراساني وأخذ ينادي مرة أخرى ويسأل عن ماله، فقام الشيخ الكبير وقال: قلت لك بالأمس أعطِ شيئاً لمن وجدها ولو عشرة دنانير.

فقال الخراساني: لا والله ولا درهماً وسيكون خصمي يوم القيامة.

قال الشيخ: أعطِه ديناراً واحداً يشتري بها شاةٌ حلوباً يُطعم بها أولاده، قال الخراساني: ولا نصف دينار.

فقال الشيخ: تعال يا هذا وخُذ دنانيرك ودعني أنام والله لم يهنأ لي بال منذ أن وجدت مالك.

يقول ابن جرير: فذهبتُ مع صاحب المال فلما وصلنا لمنزل الشيخ حفر الأرض وأخرج الصرة وأعطاها للخراساني، فلما وصل عند باب البيت رجع فقال: يا عم سأقص عليك قصة الألف دينار هذه.

مات أبي وترك ثلاثة آلاف دينار وقال: يا بنيِّ فرِّق ثُلثها في سبيل الله. فأخذت الألف وجئتُ للحج لأرى من هو الفقير الذي يستحقها، ووالله ما رأيت منذ أن خرجت من خُراسان إلى الآن أحداً احوج منك، فخُذ الألف بارك الله لك وجزاك خيراً على أمانتك. فبكى الشيخ الكبير، ويقول ابن جرير فبكيتُ معه ثم قام وضم الخراساني ودعا لأبيه.

من ترك شيئًا لله آتاه الله خيراً منه وأفضل منه.

إن ربنا هو الشكور سبحانه وبحمده، ومن شُكره أن يزيد العامل من فضله حتى لو كان عمله قليلاً. فلا تحتقر أي عمل ولو كان بمثقال الذرّة، فإن كانت الذرّة لا تؤثر شيئاً في موازين أهل الدنيا ولا تحرك الميزان إلا أنها عند الله ذات أثر. فأيّ عمل صالح اغتنمته، وأيُّ باب يُفتح لك فادخل واجعل لك فيه سهماً فإن ربك شكور.

- اسقِ قلبك بالإخلاص. فمن عامل الله بالإخلاص عامله الله باسمه الغفور الشكور غفر لك نقائص عملك وشكر لك القليل.

يا رب إن بضاعتنا مزجاة، وعملنا مدخول، وليس لنا إلا أنت فعامِلنا باسمك الغفور الشكور

اللقاء السادس

اللقاء السادس

ذكرنا في اللقاء السابق آيات البشائر...

تكلمنا عن آية القراء وما ذكر الله فيها من الوعود والجوائز لأهلها، ثم جاءت آية الإصطفاء.

قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾.

أورث الله تعالى أعظم كتبه وهو القرآن لأعظم أُممه، وهم أمة محمد ﷺ، وجعل الناس فيها على ثلاث مراتب:

ظالم لنفسه..

مقتصد..

سابق بالخيرات..

فهم يتفاضلون ليسوا على درجة واحدة، يتفاوتون في إيمانهم ويفاوتون في ولاية الله لهم وظهور أثر هذه الولاية عليهم، يتفاوتون في نعيمهم ومنازلهم في الجنة، بل ويتفاوتون حتى عند نزول الموت بهم.

وتفاوتهم على حسب إيمانهم وأخذهم وتكميلهم لشُعب الإيمان، فمن أخذ بهذه الشعب وكمّلها وحقّقها وصل لكمال الإيمان. ومن ترك شيئاً منها فاته الكمال ونزل لمرتبة أقل.

المرتبة الأولى: الظالم لنفسه.

** بدأت الآية بالظالم لنفسه وهو أقل درجةٍ فيهم.

من هو الظالم لنفسه؟

هو الذي ظلم نفسه بالمعاصي، وظلم نفسه بطاعة الشيطان، عنده تفريط وتضييع للفرائض والواجبات وإصرار وإكثار من الذنوب والمعاصي.

هذه المعاصي تُنقِص من ولاية الله له، وتهلكه. والدليل على أنها تنقص من ولاية الله قوله تعالى: ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا** ﴾ [النساء:١٢٣].

وليس المقصود الولاية العامة التي تكون لجميع الخلق وهي تقتضي تصريف الأمور والمقادير والأرزاق، فالله يتولى أمور عباده جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، طائعهم وعاصيهم، وإنما المقصود الولاية الخاصة التي هي ولاية العصمة، والعناية، والنصرة، والمحبة، والقُرب، والتوفيق، والحفظ، والكفاية....

فالله إذا تولاك دبّر أمرك وكفاك كفاية لا نظير لها، وإذا تخلى عنك خسِرت خسارة الدنيا والآخرة وأصبحتَ في أمرٍ مريج.

هذه المعاصي تهلكه لقول النبي ﷺ: "**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**"[1]. ثم ضرب مثلاً كمثل قوم خرجوا في سفر فنزلوا وادياً وأرادوا أن يُنضِجوا طعامهم فأتى هذا بعود وهذا بعود فاحتطبوا وأنضجوا طعامهم.

العود الواحد لا يصنع شيئاً، ولكن عود تلوه عود تلوه عود جَمَع حطباً!!

وكذلك الذنوب!! ذنب يعقبه آخر ثم ثالث ثم الرابع تحصل النتيجة المخيفة، ألا وهي الهلاك..

وإذا استسهل الإنسان المعاصي وخاض فيها بدون زمّ ولا خطم ولا مجاهدة ولا محاسبة وأصبح الحاجز الذي بينه وبين المعصية كالهواء يطير مع المعصية كلما لاحت له وتزينت فهؤلاء على مشارف حريق!! كأنما أوقدوا بداخلهم ناراً ألا وهي نار الشهوات، لو تركوها ستحرق كل شيء فيهم وتدمر كل شيء.

* يأتي السؤال: طالما أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي على خطرٍ عظيمٍ وعلى مشارف هَلَكه لماذا جاءوا في آية الإصطفاء؟؟ وهل هم من أهل الإصطفاء؟

الجواب: أن هذا فيه دلالة قوية على فضل التوحيد على أهله، فالإنسان مهما أسرف على نفسه وأغرقها بالمعاصي وكتب الله عليه النار وتعذب فيها إلا أنه لن يُخلَّد فيها، بل سيُخرجه الله منها بما معه من التوحيد ولو كان بمثقال الخردل أو وزن الشعيرة.

ورد في الحديث أن الله يقول للملائكة: " **أخرِجوا من النّارِ مَن كان في قلبِهِ مثقالُ ذرّةٍ من إيمانٍ**"[2]. فهم أهل توحيد، وتوحيدهم صافي لم يخالطه شرك ولكنهم ماتوا على معاصيهم بدون توبة ولم يعفو الله عنهم فاستحقوا النار.

وأما لماذا بدأ الله بهم؟ حتى لا يقنط عاصياً من رحمته، وليعلم كل عاصي أن له رباً تواباً حليماً رحيماً يعرض التوبة على عباد، ويفرح بتوبة عباده، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وهو القائل سبحانه وبحمده: (**يا ابن آدمَ لو بلغَتْ ذنوبكَ عَنَانَ السماءِ ثم استغفرتَنِي غفرتُ لكَ**)[3].

---

[1] الجامع الصغير (٢٩١٧)
[2] السلسلة (٣٠٥٤)
[3] سنن الترمذي (٣٥٤٠)

المرتبة الثانية: المقتصد.

وهو الذي اقتصر على ما طُلِب منه من الفرائض والواجبات وانتهى عما حرم الله.

حريص على صلاته وصيامه وزكاته، يأتي بشُعب الإيمان الواجبة المطلوبة منه، ولكن ليس لديه قضية المسابقة والمسارعة في الخيرات والنوافل والإهتمام بالمستحبات. فهو من أهل الاقتصاد وهذه الدرجة الأولى في الولاية كما ورد في الحديث: "**ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه**"[1]، فهؤلاء يتولى الله أمرهم ويعينهم ولكن ليسوا كالمقربين.

حالهم من المعاصي: يغلب عليهم مقام الخوف، حتى وإن نازعتهم انفسهم واشتهوا المعصية واقتربوا منها وبدأوا فيها وأخذوا يشعرون بلذتها، فجانب الخوف يغلب عليهم فينزعوا أنفسهم منها ويتركوها.

والإنسان إذا نزع نفسه من معصية فليعلم أن هذه رحمةٌ من الله به وليعلم أنَّ له منزلةً عند ربه، ولعل ذلك الخوف الذي جعله يترك الذنب بعد أن ذاق حلاوته يبدل الله به ذنبه إلى حسنة، فالله كريمٌ غفورٌ شكور.

وإن تمردت عليهم أنفسهم وأكملوا معصيتهم فإنهم يندمون بعدها ندماً شديداً فيعاتب احدهم نفسه ويلومها ويوبخها ويندم ويستغفر ويُنزل نفسه في مقام التوبة، فهم يدورون بين مقام الخوف والتوبة.

المرتبة الثالثة: السابق بالخيرات.

وهذا أعلى درجة من المقتصد، وهو الذي أكمل شعب الإيمان، أتى بالفرائض والواجبات وانتهى عن الكبائر والمحرمات ثم هو مسارعٌ للخيرات.

تجد عنده ضخامةٌ في النوافل والمستحبات، ضخامةٌ في البذل والعطاء والإحسان، إن كان معه أحدٌ في الطريق سابقة وإن لم يكن معه أحد سارع هو بنفسه.

نفوسٌ كبيرةٌ سبّاقة، هممٌ متّقدة، قلوبٌ حية لم يعشعش فيها الكسل.

أحيا الله قلوبهم وحركها وألقى فيها نوراً من عنده ، فهم موفقين بتوفيق الله لهم ويعلمون أن هذا من سبق فضل الله عليهم.

من أين أُرضيك إن لم توفقني ... هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي

الله الذي تفضّل وأعان ووفّق، والله الذي ثبّتْ، وكما قال شيخ الإسلام: لا يثب قدميك وإن مشيت على قدميك إلا لله.

يسألون ربهم دائماً (**اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد**)، يسألون العزيمة الدائمة المستمرة التي لا تنطفئ لتوصلهم لنهاية الطريق.

---

[1] رواه البخاري (٦٥٠٢)

حالهم مع المعاصي: الحاجز الذي بينهم وبين المعصية كالجبل، تصور الجبل بحجمه وقوته وصلابته، والمعنى أن الله حمى أبصارهم من أن تنظر لحرام وحمى آذانهم أن تسمع حراماً وحمى أقدامهم أن تمشي لحرام، وهذا من حفظ الله وولايته لهم كما جاء في الحديث (**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**)[١].

وليس المعنى أنهم لا يعصون مطلقاً فهذا مستحيل، وكل ابن آدم خطّاء، ولكن المقصود أن معاصيهم قليلة فهم قد حفظوا الله فحفظهم، والله لا يضيع من حفظه (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**)[٢]، أي تجده معك في كل أحوالك يحوطك ويعصمك ويعتني بك وينصرك ويدافع عنك ويسددك.

* يذكر ابن رجب رحمه الله أن رجلاً همَّ بمعصية فخرج إليها وهو في الطريق مرَّ برجل يُحدّث في حلقةٍ يقول: "أيها الهام بالمعصية أما علِمتَ أن خالق الهِمةِ مُطّلعٌ على همتك" فوقع مغشياً عليه[٣].

وهذا من حفظ الله ولطفه وولايته، قطع عليه طريق المعصية بكلماتٍ أسمعه إياها سماع قلبي، وصدق ربي ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [الأنفال:٢٣].

* هم أيضاً مشغولون بترقية أنفسهم في المراتب العليا، هم لا يجاهدون أنفسهم على ترك الكبائر والمحرمات والمكروهات، بل تعدوا هذه المرحلة، هم يجاهدون أنفسهم على المقامات الكبيرة: كيف أكون من المخلَصين؟ كيف أحقق الورع؟ كيف أصل لمرتبة الصديقين؟ كيف أكون من المخبتين؟

هم يشتغلون على أنفسهم ويربونها بتربية عجيبة ويُعانون من ربهم عوناً كبيراً. وأجد هنا سؤالاً ملحّاً ينتظر إجابةً.. لماذا يُرزق هؤلاء العون من ربهم؟

إن العلاقة بين العون والعبادة أمرٌ مسلّم به فنحن نردد في الفاتحة ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ .

العبادة حقٌ لله، والعون حقٌ للعبد، ومن قدّم حق الله وهو العبادة وقام به وكمّله وفّى الله له حقه في المعونة، فعلى قدر العبادة يأتي العون من الله. وليس الذي يمشي كالذي يهرول، وليس من تقدم كمن تأخر، لا يستويان، والله يقول ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ**﴾ [الأنعام:١٣٢]

دعني وإياك قارئي الكريم نتأمل تلك الآية العظيمة التي لا بد أن تستوقف كل من له قلب حين يقول ربنا في سورة الإسراء ﴿ **وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء:٢١].

التفضيل الحقيقي هو تفضيل الآخرة، ودرجات الآخرة، العبرة كل العبرة بالآخرة وكم تزن أنت عند الله؟ ما هو قدرك؟ وما هي مكانتك ومنزلتك؟

---

[١] صحيح البخاري (٦٥٠٢)
[٢] رواه الترمذي
[٣] نور الاقتباس لابن رجب

أخبرنا نبيا عليه الصلاة والسلام " **إنّ أهلَ الجنةِ لَيتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم ، كما تُراءون الكوكبَ الدُّرّيّ الغابرَ في الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ لتفاضُلَ ما بينهم** "[١].

حين نقف على أقدامنا ونرفع أبصارنا للسماء نرى النجوم البعيدة عنا وأحياناً بالكاد نرى ضوءها لشدة بعدها وارتفاعها.. كذلك أهل الجنة!! يرون أهل الغرف في مرتبة عالية مع الأنجم العالية، يا ترى إن دخلنا الجنة هل نحن من أهل الغرف الذين يُنظر إليهم ويُتمنى الوصول إليهم؟ أم سنكون من الذين وقفوا وأخذوا ينظرون ويتمنون؟!!

وقيد قيل: لولا أن الله رضى أصحاب اليمين في الجنة لتفطّرت قلوبهم كمداً مما يرون ما أعطاه الله للمقربين، ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩)** ﴾ [الواقعة]، هذا حالهم عند الموت سيبشّرون، بينما حال أصحاب اليمين أهل الاقتصاد ﴿ **فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)**﴾ [الواقعة].

تسلم عليهم الملائكة وفرقٌ بين من يُسلّم عليه وبين من يُبشر؟؟

إنها الثمرة التي يقطفها هؤلاء السابقين المسارعين، فمن بذل نفسه لله فإن الله سيكرمه فوق ما يتصور، ومن أتعب نفسه لله فإن الله يريحه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وبما أننا نتكلم عن السابقين التي قضيتهم الكبرى المسارعة في الخيرات والصالحات فدعونا نتكلم عن أمرٍ كان معروفاً عند السلف ألا وهو "*ما أرجى عمل عملته؟*" ولا شك ولا ريب أن هذا من أنواع المسابقة والمسارعة .

أرجى عمل: أي العمل الذي تظن أنك قاربت فيه أعلى درجات الإخلاص فتظن أنه أقرب وأرجى عمل لك عند ربك.

- والنبي ﷺ سأل بلال عن أرجى عمل عمله في الإسلام بعد أن سمع دف نعليه في الجنة، وتأمل إجابة بلال، لم يذكر صبره على التعذيب الذي تعذبه في مكة ورمضاء مكة والصخور التي كانت توضع على صدره وإنما قال: **ما عملتُ عملاً في الإسلامِ أرجى عندي منفعةً من إني لا أتطهّر طهوراً تامًّا في ساعةٍ من ليلٍ ولا نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطهورِ ما كتب اللهُ لي أن أُصلِّيَ**[٢].

عمل يسير، ركعتان يركعهما كلما توضأ لكنه عنده أرجى عمل يقابل به ربه.

- خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد كل تلك الغزوات والمرابطة والثغور والجهاد ولم يبق في جسده مكاناً إلا وفيه ضربةٌ بسيف أو طعنةٌ برمح، ثم ها هو يقول إن أرجى عمل عنده (**لا إله إلا الله أتترس بها**)[٣]. توحيدهُ هو أرجى أعماله.

---

[١] صحيح الجامع (٢٠٢٧)

[٢] صحيح مسلم (٢٤٥٨)

[٣] سير أعلام النبلاء

- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لما حضرته الوفاة جزع وخاف فقيل له: أتجزع؟ قال: ومالي لا أجزع وأنا قادمٌ على الله عز وجل وإن أرجى عملٌ في نفسي أني سمعت أختي أم حبيبة تقول: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ حافظَ على أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ وأربعٍ بعدَها حَرَّمَهُ اللهُ على النارِ**"[1] فما تركتهن منذ سمعتهن إلى يومي هذا.

هو يشعر أن هذه الأربع ركعات التي حافظ عليها قبل وبعد صلاة الظهر هي من أخلص وأصفى وأرجى أعماله عند ربه.

* يذكر الخطيب البغدادي في ترجمة سعيد بن اسماعيل (أبو عثمان الواعظ) وكان من العبّاد وقد كُتِب له قبولاً بين الناس ومحبة فسُئل عن أرجى عمل عمله؟

فقال: لما ترعرعت كان أهلي يريدونني على الترويج فامتنع –كان مشغولاً بالعبادة والعلم- يقول فجاءتني امرأة وقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حباً ذهب بنومي وقراري وأنا أسألك بمقلب القلوب أن تتزوج بي.

قلت: ألكِ والد؟ قالت: نعم فلان الخياط.

يقول: فراسلته وسالته أن يزوجني إياها ففرح بذلك، فتزوجتها فلما دخلتُ بها وجدتها عوراء عرجاء مشوهة الخِلقة!! فقلتُ: اللهم لكَ الحمد على ما قدرتهُ لي وكان أهلي يلومونني على ذلك فكنتُ أزيدها براً إلى أن صارت لا تدعني، فصبرت عليها خمسة عشرة سنة إكراماً لما في قلبها لي. فما من عملي شيء هو أرجى عندي من صبري عليها.

الله أكبر.. عابد وطالب علم لم يقل عبادتي وقيامي الليل وتعليمي للناس إنما قال (صبري عليها). لا سيما أنه صبر في أمر له فيه متسع وفسحة لكنه صبر إكراماً وجبراً لقلبها.. صبرٌ عزيز لا أدري أن كان هذا النوع من الصبر ما زال موجوداً بين رجالنا ونسائنا اليوم!! يبقى سؤال يحتاج إلى إجابة..

* ومن هنا وبعد ان سمعنا هذه المواقف والقصص يجب على المؤمن العاقل أن يبحث له عن عمل يجمع له قلبه، ويُخلص فيه حتى يكون الأقرب إلى نفسه ويجد فيه نفسه ويدخره له كأرجى عمل بين يدي ربه، ولا يتعذر الإنسان ويتحجج بالحجج، فكلنا يستطيع أن يكون له مثل هذا العمل لكنه التسويف وانشغالنا بالدنيا وانشغالنا بتوافه الأمور وامتلاء قلوبنا بالشهوات.

وكما هو معلوم القلب المملوء بالشهوات لا يُعان كثيراً، فالمسألة تحتاج إلى صدق وعزيمة وجهاد ومجاهدة وصبر ومصابرة حتى إذا ما أتت لحظة الموت وبدأ الإنسان يتذكر شريط أعماله تذكر ذلك العمل.

---

[1] شرح سنن الترمذي (٢/٢٩٣)

ومن الأعمال التي يمكن أن تدخرها كأرجى عمل لك:

- ركعتان في جوف الليل.

وقت مبارك ينزل فيه ربنا نزول يليق بجلاله فينادي كل ليلة هل من مستغفر فأغفر له، هل من داعي فأجيبه، هل من سائل فأعطيه.

أوليست لنا حاجات أوليس لنا مرضى نريد شفاءهم؟ أوليس لنا أولاداً نريد هدايتهم وصلاحهم؟ أوليس أمامنا جنة ونار نريد النجاة من النار والفوز بالجنة؟

فلماذا نزهد في مثل هاتين الركعتين؟ لماذا لا نجعلها مشروعاً وبرنامجاً وديدناً وعملاً نحافظ ونداوم عليه حتى نلقى الله؟!

- إطعام الطعام.

الإطعام شأنه عظيم وقد كان كثيراً عند السلف، وهو من أفضل الأعمال ودائماً ما يُقرن بالأعمال الصالحة ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد].

قال ﷺ: " **خيارُكم من أطعَمَ الطعامَ** "[١]، بل وضمن الجنة لمن أطعم طعاماً ومات في يومه ذاك.

قال عليه الصلاة والسلام: " **من خُتِمَ له بإطعامِ مسكينٍ مُحتسبًا على اللهِ عزّ وجلّ دخل الجنةَ** "[٢].

وقال ﷺ: " **أربعونَ خَصلةً ، أعلاهُنّ مَنِيحةُ العَنْزِ، ما من عاملٍ يعملُ بخَصلةٍ منها رجاءَ ثوابِها، وتصديقَ موعودِها، إلا أدخلَهُ اللهُ بها الجنةَ** "[٣]. منيحة العنز: أن تعطي جارك عنزاً فيحلبها ويشرب من لبنها وينتفع.

نحن الآن لا نحتاج لعنز وإنما (علبة حليب) تعطيها لأسرة فقيرة قد تكفيهم شهراً كاملاً!!

وقال ﷺ أيضاً: " **أفضَلُ الأعمالِ أن تُدخلَ على أخيكَ المؤمنَ سرورا، أو تقضِي عنهُ دينا، أوتطعمه خبزا** "[٤].

- الصدقات.

أبو بكر رضي الله عنه تصدق بكل ماله، وعمر رضي الله عنه تصدق بنصف ماله، وعثمان رضي الله عنه جهز جيش العسرة. ونحن قد يصعب علينا أن نكون مثلهم ولكن ما الذي يمنع إذا رأيت فقيراً أن تعامل الله في الخفاء وتخرج كل ما في حافظة نقودك التي تحملها، في تلك اللحظة وتجعله أرجى عمل تقابل الله به ولا تستكثره فقد أخرج أبو بكر ماله كله.

---

[١] السلسلة الصحيحة (١/١١٠)

[٢] السلسلة الصحيحة (٤/٢٠٠)

[٣] صحيح البخاري (٢٦٣١)

[٤] السلسلة الصحيحة (١٤٩٤)

يقول تعالى: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الواقعة:٥٦]، ويقول ﷺ: "**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً**"[١].

كان السلف يشترون أنفسهم من الله، هذا عامر بن الزبير تصدق بديته ست مرات، وحكيم بن حزام كان ينحر في يوم عرفة مائة ناقة ويعتقُ مائة عبد. بعضهم كان يتصدق بوزنه فضةً وكل هذا ليشتروا أنفسهم من الله.

قال ابن رجب رحمه الله: إذا كنت تطمع في العتق فاشتري نفسك من الله.

- ورد من القرآن.

المحافظة عليه والانشغال به وعدم تركه أبداً. وكم من قلوب انصلحت واستقامت وتهذبت بهذا القرآن وبالمحافظة على هذا الورد وعدم الانقطاع عنه.

- الدعوة إلى الله.

كل من دخل سلك الدعوة والتربية والتعليم يستطيع أن يحتسب عمله هذا فيكون أرجى عمل لك عند الله.

أصلِح نيتك واحتسب عملك أنك تسعى أن تكون سبباً في إنقاذ الناس من النار وإنقاذهم من الضياع، وسبباً في صلاحهم وهدايتهم ودلالتهم على الله وأن تنصر دين الله بكل ما استطعت فتصبح الدعوة والتربية والإصلاح هماً حقيقياً تحمله في صدرك، تريد أن تنفع وتُصلِح وتُبلِّغ ما معك من الخير وتخدم دين الله فتكون من ذلك الغرس الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: "**لا يزالُ اللّهُ يغرسُ في هذا الدِّينِ غرسًا يستعملُهم في طاعتِه**"[٢].

واستمع إلى هذه الكلمات الرقراقة التي قالها الدكتور عبد الكريم بكار حفظه الله: بعض الناس أكرمهم الله تعالى فصار الواحد منهم أشبه بشجرةٍ عظيمة يتفيأ الناس ظِلالها ويأكلون من ثمرها ويمتعون أبصارهم بالنظر إليها[٣].

ما الذي يمنع أن نكون منهم ونسعى لتحقيق ذلك حتى نحقق الخيرية في هذه الأمة حتى نصلح مدارسنا وبيوتنا وعقولنا ومن هم تحت أيدينا وننهض بأمتنا. وكما قيل من عاش يحمل همّ نفسه عاش صغيراً ومات صغيراً، ومن عاش يحمل همّ الأمة عاش كبيراً ومات كبيراً.

---

[١] حديث أبي العباس الأصم- رقم الحديث (٢٥)

[٢] الألباني - صحيح ابن ماجه

[٣] كتاب وقفات للعقل والروح

وأختم بهذه الكلمات لمصطفى الرافعي وهو يصنّف لك همم البشر فيقول: قد تكون دنيا بعض الناس حانوتاً صغيراً، ودنيا الآخر كالقرية الململمة، ودنيا بعضهم كالمدينة الكبيرة، وأما دنيا العظيم فقارةٌ بأكملها إذا انفرد امتدَّ في الدنيا فكان هو الدنيا[١].

- تربية الأولاد.

ما الذي يمنع أن يكون أرجى عمل تقابل به الله أن تُخرِج من بيتك أبناء صالحين وبنات صالحات ينصرون دين الله. فالتربية عبادة، وهي رصيد محفوظ مُدَّخَر لك عند الله.

لو تأملت في سير الأئمة الكبار مثل الشافعي وأحمد والبخاري والثوري بعد فضل الله عليهم من له الفضل أمهاتهم اللاتي جعلن أولادهن مشروع وعمل يلقون الله به فلماذا لا تكون ايها الأب وأيتها الأم مثل هؤلاء؟؟

كف شرك عن الناس.

لو لم يكن لديك قدرة على فعل شيء فاجعل أرجى عمل تحتسب عند الله أن تكف شرك عن الناس.

جاء في الحديث:".... **ورجلٌ في بيته لا يغتابُ مسلمًا ولا يجرُّ إليهم سخَطًا ولا نِقمةً فإن مات كان ضامنًا على اللهِ**"[٢].

الأعمال كثيرة.. والغنائم مضمونة..

وما هذه إلا إشارات وتحت الإشارات عبارات، والموفق من وفّقه الله، ومن يتحرّ الخير يُعطه.

اللهم اجعلنا ممن ظن بك الخير فأعطيته ووفيته وأكرمته وزدته من فضلك يا كريم

ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم وتُبْ علينا إنك أنت التوّاب الرحيم

---

[١] وحي القلم

[٢] السلسلة الصحيحة (٣٣٨٤)

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقـدمــة	٢
اللقاء الأول	٤
بين يدي السورة	٤
من علوم السورة	٧
مبحث عن الملائكة	٧
اللقاء الثاني	١٦
الصوارف عن الحق	١٩
اللقاء الثالث	٢٤
فتنة التزيين	٢٤
كيف يكون الخلاص من فتنة التزيين؟	٢٨
آية الاعتزاز	٣٠
اللقاء الرابع	٣٣
آية الافتقار	٣٥
اللقاء الخامس	٤٣
آيات البشائر	٤٣
اللقاء السادس	٥٢
آية الاصطفاء ومراتب الناس فيها	٥٢
الأعمال التي تُدّخر كأرجى عمل للإنسان	٥٨

دار التوحيد لتحفيظ القرآن الكريم بجدة

هاتف/ ٢٦١٩٥٦٤ - ٠١٢

جـــوال/ ٠٥٤٠٧٠٢٠٠١

تويتر: @daar_Altawhid

للاشتراك في خدمة جوال دار التوحيد على الواتساب

إرسال كلمة (اشتراك) إلى: ٠٥٦٠٦٤٢٦٥٦